الجماعة الإسلامية واليهودية تحت الحكم الإسباني في أرغون: دراسة تاريخية عن علاقة الأقلية بالأقلية

د. هيلة بنت عبد الرحمن بن فراج السهلي

قسم التاريخ والحضارة – كلية الآداب

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

الجماعة الإسلامية واليهودية تحت الحكم الإسباني في أرغون
دراسة تاريخية عن علاقة الأقلية بالأقلية

د. هيلة بنت عبد الرحمن بن فراج السهلي

قسم التاريخ والحضارة – كلية الآداب

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

ملخص الدراسة:

هذا البحث يسلط الضوء على جانب مهم من جوانب العلاقة مع الآخر غفل عنه المسلمون طيلة تلك القرون التي حكموا فيها الأندلس، وغياب هذا الوعي في التعامل مع الآخر أمر خطير، كان له تبعاته، خاصة في ظل وضع الأندلس الحساس، حيث الأعداء يحيطون بها من كل جانب، ونعني بالآخر هنا "**الطائفة" اليهودية**"، التي منحها المسلمون حكاماً ومحكومين ثقة لم يكونوا أهلاً لها، إذ لم يحفظوا للمسلمين يداً، ولم يرعوا لهم ذمة، وكشفوا عن وجههم لقبيح بمجرد أن انقلبت موازين القوى في شبه الجزيرة الأيبيرية لصالح النصارى، وأصح المسلمون واليهود رعايا لحكومة جديدة، لا تشابههما ديناً ولا عرقاً، وتتعامل مع الطرفين كأقلية، وهكذا دخلت الجماعة اليهودية في صراع مستمر مع مسلمي أرغون "**المدجنون**" من أجل اقصاءهم، والفوز بمركز الصدارة لدى السادة الجدد، وشعارهم في ذلك أن" **الغاية تبرر الوسيلة**"، وقد تنوعت مجالات الصراع بين الجماعتين ما بين عقدي واقتصادي واجتماعي، وكان اليهود دائما هم الطرف المستفز للجماعة الإسلامية في أرغون، والحقيقة أن تملقهم لملوك النصارى وتزلفهم إليهم، لم يغني عنهم شيئاً، واردتهم نواياهم السيئة، فالمكر السيء لا يحيق إلا بأهله، وهكذا انتهى بهم المطاف إلى الطرد من الأندلس على أيدي النصارى أنفسهم، بعد مذابح مروعة لليهود، وتدمير لمعابدهم، واجبارهم على التنصر.

المقدمة:

الحقيقة أن ثمة جانباً مهماً من جوانب العلاقة مع الآخر غفل عنه المسلمون طيلة تلك القرون التي حكموا فيها الأندلس، وغياب هذا الوعي في التعامل مع الآخر أمر خطير، كان له تبعاته، خاصة في ظل وضع الأندلس الحساس، حيث الأعداء يحيطون بها من كل جانب، ويتربصون بها الدوائر.

ونعني بالآخر هنا "**الطائفة" اليهودية"**، التي أفرط المسلمون في الثقة بها حتى انعكس هذا الأمر على الصراع الخارجي وأثر على أحداثه، مما أدى إلى تهاوي المدن الإسلامية الواحدة تلو الأخرى في قبضة صليبيي إسبانيا، كما ارتبط بضياع فرص عديدة للامتداد من جديد، وبالتالي كانت النتيجة انهياراً تاماً للوجود الإسلامي في الأندلس.

وكما هو معروف أنه كان هناك فئة من اليهود وجدهم المسلمون مستذلين في ظل الحكم القوطي في الجزيرة الإيبيرية فحرروهم و وأعادوا لهم الكرامة والإنسانية، وولوهم مناصب رفيعة في الدولة الإسلامية، وكفلوا لهم الحرية الدينية.

وأظهر يهود الأندلس الطاعة والولاء للسلطة في زمن قوة المسلمين في القرون الثلاثة الأولى ، كما كان لمسلمي الأندلس علاقات اجتماعية طيبة باليهود، فقد أحسنوا إليهم وأنصفوهم بالرغم من علمهم بسوء طبائعهم، وشِدة عدائهم للمسلمين قال تعالى﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[1]، وذلك لأنَّ دينهم يأمرهم بالإحسان إلى اليهود عندما يكونوا تحت حكمهم، وفي ذمتهم.

إلا أن اليهود لم يرعوا للمسلمين يداً، ولم يحفظوا لهم معروفاً، وكشروا عن أنيابهم بمجرد أن ضعف ملك المسلمين، وتساقطت مدنهم الواحدة تلو الأخرى في أيدي النصارى الإسبان.

وبعد أن كان اليهود يتملقون الحكام المسلمين، ويحاولون التغلغل في بلاطهم، مستغلين تسامح المجتمع المسلم المنقطع النظير، نجد أن الصورة تتغير، وتبدأ العلاقة مع اليهود تدخل مرحلة حساسة بعد انقلاب موازين القوى في شبه الجزيرة الأيبيرية، بعد ضعف السلطة في عهد ملوك الطوائف وفي العهود اللاحقة، حيث كثرت مؤامرات

---

١ سورة: المائدة، آية: ٨٢.

اليهود على السلطة الإسلامية، وزادت خياناتهم ونقضهم لعهودهم، وتجاوزاتهم على الإسلام والمسلمين، وساعدوا الممالك الإسبانية على التوسع ، –**وعلى رأسها مملكة أرغون**– والاستيلاء على المدن الأندلسية، وامتلاك لزمام الحكم.

وهكذا أضحى المسلمون واليهود رعايا لحكومة جديدة، لا تشابهما ديناً ولا عرقاً، وتتعامل مع الطرفين كأقلية، ليس لها الحق في الحصول على كافة الحقوق والامتيازات التي تمتع بها رعاياها من النصارى الأسبان.

وبذلك اتخذت العلاقة بين المسلمين واليهود منحىً جديداً، فبعد أن كانت علاقة الحكام بالمحكومين، أصبحت علاقة الند بالند، وبعد أن كانت علاقة الأكثرية بالأقلية، أصبحت علاقة الأقلية بالأقلية.

لم يُقَدِّرْ يهود الأندلس إحسان المسلمين إليهم، وكانوا يشاركون النصارى الأسبان في التنكيل بالمدن الأندلسية المحتلة، ويدعمونهم بالمال في حربهم ضد مسلمي الأندلس، ويشاركون في القتالِ معهم في بعض الأحيان.

على كل حال، يمكن أن نعد علاقة المسلمين باليهود في أرغون إنموذجاً لعلاقة الأقلية بالأقلية.

هذا البحث يناقش جوانب من العلاقة مع الآخر، من خلال تتبع التغيرات التي طرأت على العلاقة بين المسلمين واليهود بعد ان أصبحا في موقف الند للند.

ويشتمل على المباحث التالية:

تمهيد

أوضاع المسلمين واليهود في أرغون.

أحياء المسلمين في أرغون.

أحياء اليهود في أرغون.

العلاقة بين المسلمين واليهود في أرغون.

الخاتمة.

الملاحق.

قائمة المصادر والمراجع.

تمهيد

كان سكان مملكة غرناطة[1] حوالي مليون نسمة، وبسبب الحروب والتهجير هاجر منها نحو نصف مليون وبقي نصف مليون مسلم تحت حكم القشتاليين، وكان يعيش في الجزيرة الإيبيرية مئات الآلاف من المسلمين المدَجَّنين؛ أي المسلمين الذين قبلوا الحكم النصراني عندما غزا النصارى أراضيهم منذ قرون متعددة، لدرجة أن ثلث سكان

---

١ غرناطة: من أهم مدن الأندلس، فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد عام ٧١١م، على الرغم من أن الفتح الكامل لغرناطة لم يتم حتى عام ٧١٣، ويعد قصر الحمراء من أبرز معالمها. وكانت آخر معاقل المسلمين في الأندلس سقوطاً. ففي القرن السادس الهجري\ الثاني عشر الميلادي انكمشت دولة الإسلام في شبه الجزيرة الإيبيرية ، ولكن ظل المستوى الثقافي رفيعاً في مملكة غرناطة حتى القرن السابع الهجري\ الخامس عشر الميلادي. وفي عام ١٤٩٢قام محمد الثاني عشر آخر الحكام المسلمين في الأندلس بتسليم غرناطة لفرناندو الثالث ملك قشتالة والملكة إيزابيلا الأولى الملكان الكاثوليكيان، وبالتالي انتهى حكم المسلمين للأندلس. وتم تحديد شروط الاستسلام في معاهدة أطلق عليها (مرسوم الحمراء) وكان من شروطها أن يستمر المسلمون في ممارسة عاداتهم والحفاظ على دينهم. ولقد لقب مسلمو الأندلس في تلك الفترة باسم المدجنون. ولكن بعد فشل الأساقفة في تحويل المسلمين إلى النصرانية، صدر مرسوم قسري لتعميد غير النصارى، وبالتي ظهر وجود المورسكيين واليهود (المورسكيون هم: الأندلسيون المسلمون الذين تم تعميدهم قسرًا بمقتضى مرسوم ملكي). هذا الانتهاك لشروط معاهدة مرسوم الحمراء أدى إلى تمرد مسلح للمسلمين خصوصاً في المناطق الريفية في جنوب غرب منطقة البشرات، وبالرد على تمرد المسلمين قام ولي عهد قشتالة عام ١٥٠١م بإلغاء مرسوم الحمراء وأجبر مسلمي غرناطة على التحول للنصرانية أو الهجرة. مما أجبر النخبة من المسلمين على الهجرة لشمال أفريقيا، أما الغالبية من مدجني غرناطة، فقد أجبروا على اعتناق النصرانية وبالتالي لقبوا (بالموروسكيين) أو (النصارى من أصل مسلم).. انظر : ابن الخطيب، أبو عبداللَّه محمد بن عبداللَّه (ت ٧٧٦هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٣٩٥هـ. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص .ص ٢٤–٢٥، مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، دار الرشاد، ١٩٩٢م، ص .ص ٤٥٣–٤٥٥.

مملكة بلنسية[1]Valencia – شرق الأندلس، والتي غزاها الإسبان في القرن السابع الهجري\الثالث عشر الميلادي – كان ثلثهم من المسلمين المدجنين، وكان عشرون في المائة من سكان مملكة أراغون في أقصى الشمال الشرقي، ما يسمى الآن: ثراقوثه (سرقسطة)Zaragoza[2] وبرشلونةBarcelona[3] على حدود فرنسا، عشرون في المائة منهم في القرن السادس عشر كانوا مسلمين من المدجنين، يعني ذلك: أن هناك جماعات كبيرة من المسلمين تحت الحكم النصراني ظلت لمدة قرنين أو ثلاثة قرون، تعيش متمسكة بدينها، ودون أن تضمحل شخصيتها الإسلامية.

نعم، مثلا سكان أرغون ضاعت لغتهم العربية، ولم يعودوا يعرفونها، ولكن حافظوا على دينهم ومساجدهم، وقضاتهم، وبهذا أصبح في أوائل القرن السادس عشر ما يعادل تقريبا مليونا ونصف المليون إلى مليونين من السكان المسلمين تحت الحكم النصراني، أي: ما يعادل – تقريبا – خمسة وعشرين في المئة من مجموع سكان إسبانيا[4].

---

١ بَلَنْسية: تقع في شرق الأندلس، بينها وبين قرطبة ستة عشر يوماً، وهي مدينة سهلية، وقاعدة من قواعد الأندلس بينها وبين البحر ثلاثة أميال. انظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ)، الرَّوْض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤، ص٩٧.

٢ سرقسطة: تقع شرق الأندلس، وتعرف المدينة البيضاء لكثرة جصها وجيرها، وهي قاعدة من قواعد الاندلس، تتميز باتساع شوارعها، وبساتينها المتصلة، كانت مركزا من مراكز الثقافة في الأندلس، و قد حكمها بنو هود، وكان المقتدر والمؤتمن من بني هود من أنصار العلوم، والمتجردين لرعايته. انظر عنها: الحميري، الرَّوْض المعطار، ص ٣١٧؛ بالنثيا، آنجل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة، حسين مؤنس، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٥٥م، ص ١٧.

٣ برشلونة (Barcelona) : مدينة بينها وبين طركونة خمسون ميلاً، وهي إلى الشمال منها. انظر عنها: الحميري، المصدر السابق، ص.ص ٨٦–٨٧.

٤ الكتاني، علي بن المنتصر، الإسلام في الأندلس: تاريخا وحاضرا ومستقبلا، قطر، وزارة الشؤون الإسلامية، ١٩٨٩ الموسم الثقافي الثاني عشر م، ص ٧.

كانت مملكة أراغون تنقسم إلى أربع مناطق إدارية : أراغون القديمة وقطلونية ومملكة بلنسية والجزر الشرقية. وقد تكونت مجموعات كبيرة من المدجنين في كل هذه المناطق بعد أخذها من يد المسلمين ونجد في القرن السادس عشر مجموعات إسلامية على مصب نهر إبره في منطقة طرقونة[1] وطرطوشة[2] التابعة لكتلونية، بقيت فيها منذ سقوط الأولى من يد المسلمين سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م والثانية سنة ١٢٠٠هـ/٥٩٧ م . كما بقيت مجموعة كبيرة من المدجنين في منطقة أراغون القديمة منذ سقوط سرقسطة سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، حتى أصبحوا يكونون في القرن السادس عشر خمس السكان ، وكانت نسبهم أعلى خارج المدن وفي السهول، وسقطت مملكة بلنسية في يد النصارى سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨هـ ، ورغم الهجرة والطرد فقد بقي ثلث سكانها مسلمين في القرن السادس عشر، بينما كونوا أكثرية في كثير من مناطقها، واحتل النصارى أكبر الجزر الشرقية، ميورقة[3] سنة٦١٧هـ/ ١٢٢٠م ويابسة سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م ، ومنورقة

---

١ طرقونة او طركونة: مدينة بالأندلس، بينها و بين لاردة خمسون ميلاً، ومعنى طركونة الأرض المشبهة بالمعجنة. الحميري، الروض المعطار ، ص٣٩٢.

٢ طرطوشة : مدينة كبيرة تقوم على سفح جبل إلى الشرق من مدينتي بلنسية وقرطبة، بينها وبين البحر المتوسط عشرون ميلاً، ومحاطة بسور منيع له أربعة أبواب، وبها دار لصناعة السفن، وتزدهر بها التجارة، وتعمر أسواقها بالبضائع، و كانت في ذلك الوقت ثغر مملكة سرقطسة التي تتمتع في ظل أمرائها من بني هود بالرخاء وسعة العيش، وفي الوقت نفسه كانت من حواضر العلم في الأندلس، وتموج بالعلماء وحلقاتهم التي تمتلئ بطلبة العلم، وكان أبو الوليد الباجي أحد علمائها الكبار الذين تُشدّ إليهم الرحال، وعُدّ إمام عصره في الفقه وفي مسائل الخلاف. انظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين بن أبي عبد الله ياقوت(ت ٨٧٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، تحقيق، فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط ، ت، ٤/ ٣٠-٣١؛ الحميري، الروض المعطار ،ص.ص٣٩١-٣٩٢ .

٣ ميورقة (Majorca) ومنورقة (وربما كتبت دون واو " منرقة ") (Minorca) أكبر جزيرتين في مجموعة جزائر البليار في البحر المتوسط، وكانتا في عصر ملوك الطوائف تحت حكم مجاهد العامري. انظر عنها: ياقوت الحموي، ، معجم البلدان، ٥/٢٨٥-٢٨٧.

سنة ٦٧٧هـ/١٢٨٦م[١]، والمصادر التاريخية غنية بصور مؤثرة على ما رافق الانحسار الإسلامي من معاناة وقسوة واجهها أهالي المدن الأندلسية لوحدهم[٢]، وبقي بها عدد من المدجنين.

وكان معظم مدجني مملكة أراغون مزارعين يعملون في أراض يملكها نبلاء نصارى يعيشون عالة عليهم، ولذا عمل النبلاء على حمايتهم دفاعا عن مصالحهم، ثم صادر خايمي الأول أموال المسلمين وأقطعها للنبلاء من النصارى الوافدين حتى أصبح جميع المسلمين شبه أرقاء يعملون لساداتهم من النصارى. وفي سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م نشر خايمي الأول تشريع خاصة بالمسلمين لا تختلف عن مثيلاتها المطبقة في قشتالة، وكانت معارضة تماما لمعاهدات الاستسلام[٣]، وهكذا تدجن المسلمون الذين بقوا في الاندلس في الأحياء التي خصصت لهم في أكثر من ١٠٠ مدينة، وعاشوا مواطنين من الدرجة الثالثة في بلاد لم يعرفوا هم وأجدادهم من قبلها بلاداً غيرها.

صحيح أن المسلمين لم يكونوا في الممالك النصرانية في أحسن الأحوال، ولكن كان لهم وضع قانوني ووجود معترف به، كما كانت لهم مساجدهم ومدارسهم وعلماؤهم وفقهاؤهم. وهؤلاء المسلمون يعرفون بالمدجنين. وهم رغم معرفتهم باللغة العربية في بعض المناطق كبلنسية، كانوا يتعاملون باللغة العجمية، فكتبوا بها المؤلفات حتى أصبحت اللغة العجمية (أي الإسبانية المكتوبة بالحروف العربية) لغة

---

١ – ١٨٤٦ Comte de Circourt, Histoire des Arabes d'Espagne, Paris؛ الكتاني، علي منتصر، الوجود الاسلامي في الممالك النصرانية في شبه الجزيرة الايبيرية قبل سقوط غرناطة، د. ط، ت، ص١.

٢ يزخر كتاب المقري "نفح الطيب" بروايات هامة عن صور هذه المعاناة. انظر: المقري، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ. ٦/١٩٨–١٩٩، ٢٠٠، ٢٧٠، ٢٧٦.

٣ Comte de Circourt, Histoire des Arabes d'Espagne؛ الكتاني، الوجود الاسلامي في الممالك النصرانية، ص١.

إسلامية مثلها مثل الفارسية والتركية وغيرها من لغات المسلمين المكتوبة بالحروف العربية[1].

وإذا كان حال أولئك المدجنين متساوياً في الاضطهاد فإن أندلسي بلنسية وأرغون كانوا أحسن حالاً، ووقعت مهمة ادارة الزراعة والصناعة على عاتقهم، ولكن لصالح النبلاء ورجال الكنيسة، ولم تمنع أهميتهم من تعرضهم لثورات غضب متعددة، مثل سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م عندما اقتحم الرعاع الأحياء الأندلسية في مدينة بلنسية، التي كانت تضم وضواحيها أكبر تجمع للأندلسيين، باستثناء غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس[2].

وكان سبب بقائهم عدم قدرتهم على الرحيل او الهجرة او بسبب وجود ممتلكات او اراضي فضلوا الاقامة بجانبها، أو بسبب إغراءات بعض النبلاء والأشراف للخدمة في ضياعهم وقصورهم[3].

١الونشريسي، أحمد بن يحي(٩١٤هـ/١٥٠٨)، أسنى المتاجر في بيان من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، تحقيق، حسين مؤنسن بور سعيد، مكتبة الثقافة، ١٤١٦/١٩٩٦م، ص. ص ١٦–١٨؛ الكتاني، علي منتصر، الوجود الاسلامي في الممالك النصرانية في شبه الجزيرة الايبيرية قبل سقوط غرناطة، ص ٧.

٢ بشتاوي، عادل سعيد، الأندلسيون المواركة، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٣.

٣ عن أسباب ابقاء النصارى على المسلمين: انظر: الونشريشي، أسنى المتاجر، ص.ص ١٨–١٩؛ دويدار، دويدار، حسن يوسف، المسلمون المدجنون في الأندلس، القاهرة، مطبعة الحسين الاسلامية، ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص.ص١٢–١٥. ارسل بعض مدجني الأندلس إلى الشيخ الونشريسي يستفتونه في حكم بقائهم تحت الحكم النصراني؛ لعجزهم عن الهجرة، فأفتاهم الشيخ بوجوبها، وأثم من تركها. انظر: الونشريسي، أسنى المتاجر، ص. ص ٢٥–٣٠. ويرى الدكتور حسين مؤنس أن الونشريسي وغيره من شيوخ العصر غابت عنهم الجوانب الإنسانية التي اضطرت هؤلاء للبقاء تحت الحكم النصراني، وكان عليه وأصحابه من الشيوخ قبل أن يصدر هذه الفتوى أن يفعل شيئا لإنقاذ هؤلاء المدجنين، ويساعدهم على الهجرة بالمال، لأن الهجرة في ذلك الوقت كانت مسألة مال. انظر: الونشريسي، أسنى المتاجر، ص ١٩.

وعاشوا في أحياء خصصت لهم كمواطنين من الدرجة الثالثة حتى تعرضوا بعد ذلك في بداية القرن السادس عشر للاضطهاد والتنصير ٩٠٨هـ/١٥٠٢م، فتنصر منهم من تنصر وحافظ بعضهم على دينة سرا، وبذلك ظهر ما يسمى بالمشكلة الموريسيكية[١].

هذا هو الوضع الذي كان عليه المسلمون في مملكة أراغون قبل سقوط غرناطة، وكانوا يعيشون كمسلمين تحت حكم النصارى لمدة تتراوح بين القرنين والثلاثة قرون، ويعملون كمزارعين لساداتهم النصارى لهم عليهم سيطرة تشبه سيطرة السادة على العبيد، ونظموا أنفسهم دينيا في جماعات تعيش حول مساجدها، لها فقهاؤها وعلماؤها. وبعد أن استسلم المسلمون في بلنسية عام ١٢٣٨م، قام خايمي الأولJaime باستدعاء أعدادا من النصارى ليستقروا في بلنسية وما حولها من المدن لترسيخ أقدام النصارى هناك، فبدا النصارى بإزعاج المسلمين واساءة معاملتهم ، وساهم خايمي في التضييق على المسلمين واطلق الحرية للنصارى فقط، وتحولت ملكيات وأراضي المسلمين إلى النصارى وأصبح المسلمون أجراء بعد أن كانوا ملاكاً، وأصبحوا أدنى من غيرهم من أفراد الشعب مرتبة إذ اصبحوا نوعاً من الارقاء[٢].

وهكذا أقام المسلمون في أحياء خصصت لهم في أكثر من مئة مدينة كمواطنين من الدرجة الثالثة في بلاد كانوا يحكمونها بالأمس[٣]، وألزمهم الإسبان بلبس خاص بهم أو بشارة في لباسهم تميزهم عن غيرهم مثلهم في ذلك مثل اليهود، وكانت على شكل دائرة صفراء قرب الصدر، كما جعلوا لهم قوانينهم الخاصة.

أما **المدجنون في الأندلس**، كانوا من أبرع العناصر وأنشطها في المجتمع الأندلسي، وكانوا يتفوقون في كثير من العلوم والفنون والمهن، فكان منهم الأطباء والمهندسين

---

١ دويدار، المدجنون في الأندلس، ص.ص ٩–١٠.

٢ حومد، أسعد، محنة العرب في الأندلس، بيروت، الشركة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٨م، ص ٢٥٩.

٣ دويدار، المدجنون في الأندلس، ص.ص ١٥–١٦.

والبنائين وغيرهم، لذلك اعتمد عليهم النصارى خاصة الأشراف والنبلاء حتى بعض رجال الكنيسة في اقطاعاتهم، ولا نبالغ إذا قلنا في كل مناحي الحياة[1].

أوضاع المسلمين واليهود في أرغون:

في المناطق التابعة للسيطرة النصرانية كان هناك مناطق تابعة للمسلمين وأخرى لليهود. وكانت هناك مراقبة لأي اختلاط عرقي محتمل في المنازل الخاصة والفنادق الصغيرة والحانات وبيوت الدعارة، وشمل ذلك أيضا الاحتفالات المشتركة وحفلات الزفاف والتعميد. ووفقا للمراسيم والقوانين المتكررة كان يتوجب على اليهود إظهار حالتهم عن طريق ملابس مميزة، كما لم يكن مسموحاً للمدجن بالدعوة علنا للصلاة[2].

وكان على اليهود والمسلمين ارتداء لباس يميزهم عن النصارى مثل رداء رجل الدين يلتفون به مع غطاء، على ألا يكون مخططا او أخضر اللون او أحمرا زاهياً، ولم يكن مسموحا لهم بلبس خواتم الذهب او الاحجار النفيسة، كما كان عليهم ان يطيلوا لحاهم ويقصوا شعورهم بشكل مخالف للنصارى[3].

وفي إحدى الوثائق التي تعود لعصر الملك بيترPeter، لم نجد أي اشارة الى لباس معين على الرغم من وجود تلميحات الى القوانين المتعلقة بطريقة قصة الشعر واللحية، وهي عديدة ومتنوعة، ويبدو إما أن القوانين لم تكن ملزمة او أن ارتداء هذه الملابس المميزة اصبح معتادة ولم يكن هناك خرق او مخالفة لهذا اللباس بين المسلمين واليهود[4].

ويرى المؤرخ الاسباني ريكير Riquer أن ذلك كان صعبا جدا في القرن الرابع عشر/ الثامن الهجري، حيث أن الرجال كانوا قد تخلوا عن اللباس التقليدي ولم يعودوا

---

١ دويدار، المرجع السابق، ص ٥٩–٦٠.

٢ M. López-Ibor, Los judíos en España

٣ Bowell, Johan, Muslims communities Under The Crown of Aragon,p.٣٢٨.

٤ Bowell, Op. Cit, p.٣٣٢.

مختلفين عن النصارى في الملبس، فتم فرض حلاقة رأس معينة. وعند نهاية القرن الرابع عشر تم فرض وضع رمز معين على اللباس، وهي أمور واجهت معارضة كبيرة[1].

اصدرت إزابيلا(٨٥٥–٩١٠هـ/ ١٤٥١–١٥٠٤) Isabella سنة٨٨١هـ\ ١٤٧٦م في مدريد قانونا يلزم المسلمين بأن يضعوا على اكتافهم اشارة خاصة مميزة وهي عبارة عن قطعة من الجوخ أحمر، وأن يضعوا على رؤوسهم قبعة أو قلنسوة خضراء، أما النساء المسلمات فكان عليهن حمل قطعة من الجوخ الأزرق عرضها أربع أصابع[2]، كما حرم خوان الثاني سنة ٨١١هـ\ ١٤٠٨م على المسلمين واليهود مزاولة مهنة الجراحة والصيدلة والعطارة أو بيع الأدوية[3].

وعندما احتل خايمي الأول ملك أراغون بلنسية سنة٦٣٦هـ\ ١٢٣٨م، بعد أن عقد مع أهلها معاهدة يتعهد فيها بصيانة المسلمين وأموالهم وعقيدتهم ولغتهم والشريعة الإسلامية وأن يهادن ما تبقى من منطقة بلنسية في يد المسلمين لمدة ثمان سنين، لكن خايمي تنكر لعهوده فور تملكه المدينة، فلاحق المسلمين داخلها وخارجها، وحول أجمل المساجد وأكبرها إلى كنائس، وأتى بمهاجرين نصارى من الشمال ، وأسكن المسلمين في أحياء خاصة بهم . وأخذ النصارى القادمون يزعجون المسلمين دون ردع من الدولة.[4] .

وكانت أكبر مشكلة يعانيها المسلمون في مملكة أرغون التعدي على أملاكهم و الاستيلاء عليها، وقد سجلت الوثائق حالات لاستيلاء الرهبان على مزارع الكروم لملاك مسلمين وبيعها للنصارى، كما سجلت حالات نهب النبلاء الاثرياء لجامع بورخا[5]، وما فيه

---

١ B. de Riquer, Història de los Paises Catalans Las persecuciones de ١٣٩١, El seis de junio de ١٩٣١ estallaron l

٢ حومد، محنة العرب، ص ٢١٩.

٣ حومد، المرجع السابق، ص ٢١٨.

٤ Comte de Circourt, Histoire des Arabes d'Espagne, Paris, ١٨٤٦

٥ بورخا : تقع في مقاطعة سرقسطة التابعة لمنطقة أراغون شمال شرق إسبانيا.

من البغال والطعام، بالإضافة إلى رهن المسؤولين في قلعة أيوب[1] لبضائع المسلمين في المدينة وبيعها والاستعانة بذلك على اعادة بناء جدران المدينة تاركين مسلمي المدينة فقراء معدمين، وقيام جماعة من النبلاء بسلب المسلمين بغالهم واقتحام الجنود المرتزقة بيوت المسلمين والاستيلاء على الأسرة وغيره من الاثاث والسلع ، بالإضافة إلى قيام الجنود النظاميين بالاستيلاء على دواب المسلمين في وشقة[2]

حتى المسؤولين المسلمين لم يسلموا من أعمال السلب والنهب، ناهيك عن انتهاك اعراض المسلمات وهو أمر لم يكن نادر الحدوث[3]، أما المسؤولون النصارى فكانوا يتبعون طرق متنوعة لمضايقة المسلمين الواقعين تحت سلطتهم إذا رغبوا في ذلك، ففي بلنسية على سبيل المثال كان المسؤولون يغرمون المسلمين باستمرار على جرائم يمكن ان يرتكبها النصارى وهم يتمتعون بحصانة من العقاب، أو يفرضون على المسلمين غرامة باهظة تفوق بكثير الغرامة التي تفرض على النصراني الذي يقترف جريمة مماثلة، كما قام المسؤولون في ايرندا بمضايقة أرملة مسلمة واحتجازها، كانت تحاول ان تسوي املاك زوجها في قشتالة، وعلى الرغم ان تصرفهم يعد من الناحية

---

١ قلْعَةُ أيّوب: بلدة تقع في مقاطعة سرقسطة التابعة لمنطقة ارغون شمال شرق اسبانيا، وهي مدينة عظيمة جليلة القدر بالأندلس بالثغر، وكذا ينسب إليها فيقال ثغريّ، من أعمال سرقسطة، بقعتها كثيرة الأشجار والأنهار والمزارع ولها عدة حصون وبالقرب منها مدينة لبلة، ينسب إليها جماعة من أهل العلم، منهم محمد بن قاسم بن خرّم من أهل قلعة أيوب يكنى أبا عبد الله، رحل سنة ٣٣٨ ه سمع بالقيروان من محمد بن أحمد بن نادر ومحمد بن محمد بن اللباد. انظر عنها: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٦٩.

٢ Bowell, Muslims communities,p.٣٤٠.

وشْـقَةُ: بفـتح أولـه، وسـكون ثانيـه، والقـاف: بليـدة بالأنـدلس، ينـسب إليهـا طائفـة مـن أهـل العلـم، منهم:حديدة بن الغمر له رحلة، وإبراهيم بن عجيس بن أسباط بن أسعد بن عدي الزيادي الوشقي، كان حافظا للفقه واختصر المدونة، له رحلة ، توفي سنة ٣٢٢. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/٤٣٣– ٤٣٤.

٣ Bowell, Muslims communities , p.p. ٣٤٣,٣٤٩ –

الفنية في حدود القانون، إلا أنهم تصرفوا معها بدافع الخبث وليس بدافع محبة القانون كما اعترف بذلك الملك نفسه، كما اجبر المسلمون في قلعة أيوبCalatayud وسيتا[1] على تقديم خدمات للبلدية دون مقابل[2].

وقد تحسنت أحوال المسلمين في عهد الملك جيمس، و عانى المسلمون أكثر من اليهود في قضية الاتهام بتسميم الآبار سنة٧٢١هـ/١٣٢١م، حيث كان المسلمون يشكلون خطرا سياسيا أكثر من اليهود.

وعندما اشتكى الزعيمان اوتو دي مونكادو و برينقور إلى الملك جيمس بان وكيله في ليديا و المثمن، والفرقة المجندة زارا قصرهما وطالبا بتسليم ثلاثة من المسلمين متهمين بتسميم المياه ، ولكن رفض تسليمهم.

وخير مثال يوضح الأنشطة المحدودة المعادية للمسلمين سنة ٦٣٦هـ/ ١٣٢١م هي معالجة المجذومين من المسلمين، مسلم يدعى ميشو من شلمنقة (سلمانكا Salamanca) [3] ، شخص هيئة من الأطباء حالته بالجذام، وعهد برعايته إلى زوجته وأصدقائه، الذين احتفظوا به في مكان معزول، ووعدوا ببقائه معزولاً، والا عليهم دفع غرامة مقدارها الف مارفيد من الذهب، ولكن قبل اربعة مايو من سنة ٦٣٦هـ/ ١٣٢١م، وجد ميشو ميتا في صهريج ماء، مما يدل على أنه لم يكن معزولاً؛ لذلك أمر الملك اهله بدفع الغرامة لأنهم اخلوا بالاتفاق[4].

---

١ مدينة تقع الى الجنوب من سرقسطة، سميت باسم: أيوب بن حبيب اللخمي أحد الولاة في الأندلس (٩٧هـ/ ٧١٦م). أنظر: محمد عبده حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية، عمّان١٩٩٩م ص٨٦١.

٢. Bowell, Op, Cit,p.٣٥٤

٣ شلمنقة أو سلمانكا (بالإسبانية: Salamanca) هي مدينة تقع في مقاطعة قشتالة وليون في وسط شمال إسبانيا.

٤ Nirenberg, David, Communities of Violence: Persecution of Minorities in the Middle Ages, Princeton University, ١٩٦٤, p. ١١٢.

وكان المسلمون واليهود أحياناً هدفاً للتعصب النصرانى، وقد اتخذ العنف الطائفي شكلا آخر ولكنه ليس عنفا جسديا، وكان موجه بشكل خاص نحو المسلمين، وتمثل هذا الشكل الجديد في انتهاك حقوق المدجنين، وإساءة معاملتهم، أكثر من الاعتداء الجسدي، ففي سنة ٦٩٠هـ\١٢٩١م مثلاً، تم إرغام جماعة من جامع المسلمين في قصر رندة[١] بحمل الماء والحطب إلى القصر، في حين أنه لم يطلب من النصارى فعل ذلك[٢].وفي سنة ٦٩٠هـ\ ١٢٩٥م، تم القبض على شرذمة من النصارى وهم يقومون بتحجير مقابر المسلمين واليهود في لاردة (Lerida)[٣]، ولكن الملك عفا عنهم، وأطلق سراحهم[٤].

وفي سنة ٦٧٧هـ\ ١٢٧٨م اعتقلت جموع من الناس في مدينة القصر[٥] ببلنسية لأنهم قتلوا مسلماً وزوجته دون محاكمة[٦].

---

١ رُندة –Ronda : مدينة قديمة بها آثار كثيرة، و هي مدينة غرب ملقا أو مالقة ، تقع على نهر ينسب إليها ، الحميري، الروض المعطار، ص ٢٦٩ قد كانت رُندة من أهم القواعد الأندلسية التالدة، ثم كانت بعد ذلك من أهم مدن مملكة غرناطة الإسلامية، ولما سقطت رُندة بخديعة من القشتاليين سنة ٨٩٠ هجري أصبح الطريق ممهدا لاستيلاء النصارى على مالقة و بالفعل فقد سقطت مالقة سنة ٨٩٢ هجري. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣\ ٨٤ عبدالله عنان، نهاية الأندلس، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٣٨٣هـ، ص ٢٧٠، و الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مؤسسة الخانجي ط ٢،١٣٨١هـ، دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١،١٣٨٣هـ.

٢ A CA, C, reg. ٩٠, F. ٩٨ v(١٨ October ١٢٩١)

٣ لاردة (Lerida): في ثغر الأندلس الشرقي، وهي مدينة قديمة بنيت على نهر يعرف بشيقر، وهي مدينة خصبة، لها بساتين كثيرة. انظر عنها: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٠٧.

٤ A CA, C, reg. ١٠٠, F. ٣٥٢١v(٢٤ January ١٢٩٥)

٥ مدينة القصر :مدينة بالأندلس بينها وبين شلب أربع مراحل ، وهى مدينة حسنة متوسطة وعلى ضفة النهر الكبير ، وهو نهر تصعد منه السفن السفرية ، وفيما استدار بها من الأرض كلها شجر الصنوبر وبها الإنشاء الكثير وهى خصيبة كثيرة الألبان والسمن والعسل واللحم ، وبين القصر والبحر عشرون ميلا . انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٢٦٩.

٦ Catlos, Brain. A, The victors and Vanquish, Christians, and Muslims Of Catalonial, p.٣١٩

ويرى كاتلوس Carlos أنه لا يوجد سبيل لمعرفة ما إذا كان هذا الاعتداء حدث نتيجة لتعصب الطائفي أو أنه بمحض الصدفة، وكان الزوجان اللذان أثارا هياج الغوغاء والعامة من الجماعة الإسلامية[1].

ولكن إذا كان هذا الاعتداء حدث بدون مبررات قوية ومقنعة، فهو بالتأكيد صورة من صور الاضطهاد الطائفي والتعصب الصليبي ضد المسلمين، خاصة وإن الكاتب لم يوضح دوافع هذا الاعتداء.

ومهما يكن من أمر، فقد سخر النصارى في لاردة من المسلمين و اليهود في عدة احتفالات نصرانية، وإن كان هذا العمل في حد ذاته، ليس نوعاً من أنواع العنف، ولكنه يدل بلا شك على التعصب الطائفي، وليس هذا مستغرباً، فإن طبيعة الأعياد والاحتفالات النصرانية تقوم على إثارة مشاعر النصارى بهويتهم الدينية وإذكاء الروح الصليبية، ولذلك فمن الطبيعي أن يتزايد بغض النصارى لغيرهم[2].

وأشار الشيخ القرافي رحمه الله إلى الشحن الطائفي التي يحدث خلال الأعياد اليهودية في سياق أحد أجوبته "في بلاد الروم بأسرها كبرشلونة وبركونة ومرسية[3]ة وفرنسه وسائر مدن الافرنج لهم ثلاثة أيام في السنة معلومة، يقول فيها الأساقفة للعامة "سرقت اليهود دينكم"، واليهود ساكنون معهم في البلاد، فتنطلق العامة وأهل البلد بجملتهم يطلبون اليهود، فمن وجدوه قتلوه، وأي دار قدروا عليها نهبوها، واليهود تعلم تلك الأيام، فتتحصن وتستعد لها....الخ"[4]

---

١ Catros, The victors and Vanquish, p.٣١٩

٢ Catros, Op. Cit, p.٣٢٠

٣ مرسية: مدينة بالأندلس، هي قاعدة تدمير. انظر عنها: الحميري : الروض المعطار، ص ٥٣٩.

٤ القرافي، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة، تحقيق، مجدي محمد الشهاوي، بيروت، عالم الكتب، ص ٢٦.

ولم يظهر التعصب الطائفي في بداية الحكم النصراني بصور واضحة، لأن اهتمام الملوك بالحصول على الأراضي الاسلاب أهم من نشر النصرانية، ولم يكن ذلك غريباً في فترات نظرت فيها الرعية إلى الملك على انه مفتاح الرخاء، وإلى الحروب إلى انها سبباً رئيسا لجمع الثروة[1].

وفي عهد الفونسو السابع (٥٢٠– ٥٥٢هـ\١١٢٦–١١٥٧م)، تعمد الجنود قتل جميع الائمة واحراق المساجد و الكتب الدينية في شريش[2]، لكن هذه الأمثلة القليلة كانت مجرد البداية[3]، ويذكر بيتر الثالثPeter III (٦٧٥– ٦٨٤هـ\ ١٢٧٦–١٢٨٥م)، أنه في عهد والده جيمس الأول James I (٦٧٥– ٦١٠هـ\١٢١٣–١٢٧١م) حين كان يقضى الجمعة العظيمة[4] في مدينة جيرونا[5]، قام عدد من رجال الدين بقرع الناقوس المعلق في أبراج

---

١ البشتاوي، الاندلسيون المواركة، ص ٢١٠.

٢ شريش: مدينة متوسطة حصينة حسنة الجهات قد أطافت بها الكروم الكثيرة وشجر الزيتون والتين، والحنطة بها ممكنة، وهي من كور شذونة بالأندلس، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلاً، وهي على مقربة من البحر، يجود زرعها ويكثر ريعها، وبين المغرب والقبلة من شريش حصن روطة على شاطئ البحر، بينهما ستة أميال، وهو موضع رباط ومقر للصالحين يقصد من الأقطار، وروطة هذه بئر خصت بماء لا يعلم مثله في بقعة، وهي بئر أولية قديمة البنية، ينزل المرء فيستقي الماء بيده حيث انتهى من البئر، فكلما كثر البشر بحصن روطة واجتمعت إليه المرابطة طما الماء في البئر وزاد حتى يستقى من رأس البئر باليد دون معاناة ولا مشقة، فإذا قل الناس بها وتفرقوا نضب الماء حتى يكون بآخر درك. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٨٦/٣ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٠.

٣ البشتاوي، الاندلسيون المواركة، ص ٢١١.

٤ الجمعة العظيمة أو الجمعة الحزينة وهي السابقة لعيد الفصح وتشير إلى موت المسيح على الصليب، حسب زعمهم. وأهم يوم في أيام الأسبوع المقدس هو يوم جمعة الآلام أو الجمعة العظيمة وهو يوم الجمعة التي تسبق عيد القيامة. وهي ذكرى صلب يسوع المسيح. تقام صلوات خاصة في هذا اليوم وقراءات من الإنجيل للأحداث التي تسبق الصلب وهو يوم مقدس للمسيحيين. غالبية الكنائس المسيحية ترى أن صلب المسيح وموته وثم قيامة المسيح في اليوم الثالث هي تحدي للموت وانتصار روحي عليه. الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٥– ٢٠٦٥، ١٢٤٧/٢.

٥ جيرونا: تقع شمال شرق اسبانيا وهي تبعد ١٠٣ كيلو متر شمال شرق مدينة برشلونه.

الكاتدرائية، ثم هاجموا الحي اليهودي في جيرونا، لذلك اضطر الملك جيمس إلى حمل السلاح من أجل الدفاع عن اليهود١.

ومما بجدر ذكره أن الملك جيمس الأول James I نفسه (٦٧٥– ٦١٠هـ\١٢١٣– ١٢٧١م) شكى لأسقف جيرونا في عدة مناسبات حول تصرفات رجال الدين مع اليهود في أسبوع الآلام٢، كما حدث سنة٦٧٧هـ\ ١٢٧٨م أن قام رجال الدين وأتباعهم مرة أخرى برمي اليهود بالحجارة من برج جيرونا في عيد الفصح٣، حيث تضررت الحدائق والباحات الخارجية لبيوت اليهود، وعندما طلب من رجل الدين الثائر أن يهدأ باسم الملك، قام بالضحك والسخرية منه٤، ومثل هذه الهجمات على الأحياء اليهودية ليست مقتصرة على مدينة جيرونا، بل هي منتشرة في كل أجزاء مملكة أرغون كبلنسية وبرشلونة ودروقة٥ وغيرها.

---

١. Nirenberg, Communities of Violence, p. ٢٠٣.

٢. Nirenberg, Communities of Violence, p. ٢٠٣. و أسبوع الآلام وهو آخر أسبوع في فترة الصوم، ويشير إلى الأحداث التي أدت إلى موت عيسى –عليه السلام– وقيامته حسب اعتقادهم. و يسبق عيد الفصح أسبوع الآلام، وهو يقع في آخر أسبوع للصيام الأربعيني، ويبدأ هذا الأسبوع بيوم الأحد، الذي يسمى بأحد الشعانين، وينتهي بيوم السبت في ليلة سبت النور، انظر: الموسوعة العربية، ١٢٤٧/٢.

٣ عيد الفصح : أو عيد القيامة، ويعتقد النصارى أن المسيح عليه السلام، وهو من بني إسرائيل، احتفل بذبح خروف الفصح مع الحواريين بعد ظهور البرد الكامل التالي للاعتدال الربيعي، وسمي هذا العشاء بالعشاء الأخير، وكان يوم الخميس، ويقولون إنه حُوكم يوم الجمعة وحكم عليه بالصلب في ذلك اليوم، وقد اتفقت روايات الأناجيل الحالية على القول إن المسيح صعد إلى السماء بعد قيامته من بين الأموات، وكان ذلك في يوم الأحد وأنه في ذلك اليوم تناول العشاء مع اثنين من تلامذته، وأنه وحَّد النصارى في شخصه ووجَّههم نحو محبته، وفيه يحتفل النصارى بتحررهم من الخطيئة والموت فيتَّحدون مع المسيح في الحياة الأبديَّة. انظر: الموسوعة العربية، ١٢٤٧/٢.

٤. Nirenberg, Communities of Violence, p. ٢٠٣.

٥ دورقة: مدينة من بطن سرقسطة بالأندلس، ينسب إليها جماعة، منهم: أبو محمد عبد الله بن حوش الدورقي المقري النحوي، كان آية في النحو وتعليل القراءات وله شعر حسن، وسكن شاطبة وبها توفي

كتب أسقف بلنسية في سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م إلى مجلس المدينة عن الآثام العديدة التي ارتكبت في أحياء المسلمين واليهود في المدينة، ويخشى أن الله عاقبهم بسبب هذه الذنوب، واقترح طردهم في سياق شكواه من أن النصارى يعيشون في أحياء المسلمين واليهود[١].

ويبدو أن اليهود أنفسهم كانوا يحجمون عن رفع دعوى للملك، إلا إذا خرجت الأمور عن السيطرة، فقد كان هناك مجموعة من الأطفال يرقصون، فقام طفل منهم يسمى برنارد بتحريض من الراقصين الآخرين برمي الحجارة على جنازة يهودية اثناء مرورها، فتم اعتقاله، ولكن أطلق سراحه فيما بعد بناءً على طلب أحد سكرتارية الجماعة، الذي رفض اتهام الصبي[٢].

والحقيقة أن أعمال الشغب لم تكن تزعج اليهود فقط، أو تدمر ممتلكاتهم، بل كانت أيضاً مصدر ازعاج للنصارى أنفسهم، فقد اشتكت أرملة نصرانية كانت بيتها مؤجراً ليهود من أعمال الشغب التي ألحقت الضرر بمنزلها، وطالبت بالتعويض مقابل هذه الأضرار، وقد استعان اليهود بحراس لحمايتهم أثناء هذه المناسبات النصرانية التي يكثر فيها الاعتداء على اليهود كالجمعة العظيمة، او أسبوع الآلام، او عيد الفصح، وكان هؤلاء الحراس من موظفي الحكومة، وفي حالة كون الحراسة غير كافة كان على أبناء الطائفة التعاون لحمايتها[٣].

وخلال القرن الرابع عشر ازدادت الكراهية تجاه اليهود على طول أرجاء شبه الجزيرة، وقد شجع على ذلك مدرسة فكرية قادتها الكنيسة خاصة الدومينيكان والفرنسيسكان، إضافة إلى ذلك فقد عرف القرن الرابع عشر وعلى وجه الخصوص في

سنة ٥١٢، وأبو الأصبغ عبد العزيز، وأبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن خيرة الدّورقي المقري، بلغ الإسكندرية وحضر عند السلفي وكتب عنه. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/٥٥٠.

١. Nirenberg, Communities of Violence, p. ٢٣٩

Nirenberg, Op. Cit, p. ٢٠٤ ٢

٣. Ibid, p.p. ٢٠٤–٢٠٥

نـصفه الثـاني فتـرات مـن الانهيـار الاقتـصادي والاجتمـاعي كانـت مـن أبرزهـا الحـروب، و تعرضت المحاصيل للتلف، وانتشر الموت الأسـود وارتفعت الأسـعار. وعـانى الناس من الجوع والمحن بمختلف أشكالها. وكنتيجة لكل ذلك طالت العديد من الاتهامات اليهود محملةً إياهم مسؤولية جلب كل هذه المشاق، ولائمة إياهم على نشر العلل والأمراض، وطالبت من الملوك التدخل لاتخاذ قرار ضدهم[1].

ونتيجـة لـذلك انـدلع فـي مدينـة قلعـة أيـوب كغيرهـا مـن مـدن أرغـون أعمـال شـغب مـضادة لليهـود خـلال الفتـرة الـذي انتـشر فيهـا الطاعون فـي أوربـا بـين سـنتي ٧٤٨–٧٤٩ هـ/١٣٤٨– ١٣٤٩م، وفي عام ١٣٤٩م صادرت سلطة البلدية أملاك اليهود الذين هلكوا بلا وصية خلال عصر انتشار وباء الطاعون، كما عانت الطائفة اليهودية خلال الحرب التي انـدلعت بـين قـشتالة وأرغـون بـين سـنتي٧٥٧–٧٧١هـ/ ١٣٥٦–١٣٦٩م، لأن قلعـة ايـوب كانت تقع على حدود قشتالة ونتيجة لذلك اعفى الملك عـدد من اليهـود هناك من دفع الضرائب واختار موقعا جديدا ليكون حيا لليهود بدلا من حيهم القديم، كما عـانى اليهـود خـلال موجـة الطاعون التي اجتاحـت أوربـا، حيـث انـدلعت الاضطهادات ضدهم فـي كـل اجزاء أرغون[2].

وخـلال فتـرة الاضطرابات سـنة٧٤٩هـ/ ١٣٩١م لم تمس الـ ٣٠٠ عائلـة اليهوديـة التي كانت تعيش في القلعة بأي أذى، ولكنها عانت من الانحطاط الاقتصادي والتجاري، مما ادى الى هجرة يهودها الى مملكة نافار. وفي سـنة٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م كان هناك ١٩١ عائلة يهوديـة أي مـا بـين ٧٦٠–٨٦٠ فـرداً يـشكلون ١٢% مـن سـكان المدينـة ، وفـي سـنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م منع الملك مارتن اليهود من السكن خارج الحي اليهودي، كما اصدرت بلديـة القلعـة امـر بحظـر اليهـود مـن مغـادرة الحـي اليهـودي وجلـب المـاء مـن النهـر او استخدام مخبز وطاحونة المدينة حتى لو لم يؤد ذلك إلى احتكاكهم بالنصارى، فقـد بلـغ

---

١ M. López,Ibor, Los judíos en España

٢ Nirenberg, communities of Violence, p. ٢٣٩.

عـدد العوائـل اليهوديـة فـي بلنـسية مـثلا ١٦٢عائلـة يمثلـون ٦,٥% مـن المجمـوع الكلـي للسـكان.

لكـن مـن الواضـح أن اليهـود تمتعـوا بوضـع اقتـصادي أفـضل بكثيـر ممـا كـان عليـه مسلمو أرغـون، فقـد اشـتغل العديـد منهم في تجـارة الأقمشـة، التي كانـت تـدر عليهم ارباحاً كبيرة، كان المسلمون المدجنون والإسبان النصارى من بين زبائنهم.

وارتبطـت أسـماء بعـض العوائـل اليهوديـة بتجـارة الأقمـشة مثـل عائلـة أبينبيتـاس Abenbitas ذات الأصول السرقسـطية، وأبينمورين يهـودا بـن ألـزار :Abenmorín, Jehudá hijo de Alazar الذي كان بزازا يبيع الثياب، وعندما توفي والده، تولى الأعمال العائلية، و بينفينيست صموئيل الذي كان ينتمي لواحدة من العائلات اليهودية الرئيسة من أراغـون خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر، كما دخل بعض هؤلاء التجار في شـراكة مع تجار نصارى[١].

ولا شـك أن نفوذهم الاقتصادي، جعلهم يتمتعون بحظوة لدى التاج، وفتح لهم الباب لمـصاهرة الأسـر الأرغونيـة النبيلـة، كمـا مكـنهم مـن الافـلات مـن المـشاكل مثـل التـاجر اليهودي سـالومون أبنارابي Salomón Abnarrabí الذي مكنه ـ بعد الله ـ منصبه الاجتماعي القوي وأمواله الخروج سـالما من الأخطار التي كانت تترصده[٢].

كـان اليهـود يتولـون للنـصارى جمـع الـضرائب مـن المـسلمين، ويعـاملونهم بمنتهـى القسـوة، ولذلـك أوكلت إليهم هـذه المهمـة في مرسـية ومـا حولهـا، منـذ احتلالهـا، وحتـى نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عـشر الميلادي. ومـن الـذين تولـوا هـذه المهمـة في مرسـية إسـحاق بـن يعـيش سـنة (٧٠٧هـ/١٣٠٧م)، وسـليمان بـن لـب الـذي حـصل علـى

---

١ HABA, JUAN PIQUERAS, LOS JUDÍOS Y EL VINO EN ESPAÑA SIGLOS XI-XV UNA GEOGRAFÍA HISTÓRICA, Cuad. de Geogr ,٧٥, ٠١٧ – ٠٤١, València, ٢٠٠٤, pp. ٥٨٨–٥٩٧.

٢ HABA, LOS JUDÍOS Y EL VINO EN ESPAÑA , pp. ٥٨٨–٥٩٧

حماية خاصة من ملك أراغون ثم رحل عنها إلى ميورقة سنة (٧٨٠هـ\١٣٧٨م)، كما كان اليهود قد أظهروا ترحيبهم وتعاونهم مع ملوك النَّصارى حينما بدأت المدن الأندلسية تسقط في أيديهم، فلما احتلَّت جيوش فرديناند الثالث ٦١٤-٦٥٠هـ\١٢١٧-١٢٥٢م إشبيلية[١] سنة ٦٤٦هـ\١٢٤٨م، خرج يهودها لاستقباله، وقد أعدوا له مفتاحاً نُقش عليه بالعبرية عبارة تقول: "سيفتحها ملك الملوك، وسيأتي ملك الأرض"، وقد قدَّم لهم فرديناند الثالث ثلاثة مساجد تقع بالقرب من حيهم، ليقيموا عليها معابد لهم، إضافة إلى العديد من المنازل والبساتين التي كانت تعود للمسلمين، وذلك مكافأةً لهم على موقفهم وخدماتهم في الحرب ضد المسلمين[٢].

وهكذا يتضح مما سبق أن اليهود كان لهم حظوة لدى ملوك أرغون ،و نتيجة لذك تمتعوا بامتيازات كثيرة حرم منها المسلمون، باستثناء فترات قصيرة تعرضوا فيها لهجمات السكان الأسبان لاعتقادهم انهم مصدر الشر، ولكن لكل هذه كل الامتيازات على حساب اضطهادهم وتآمرهم على المسلمين.

أحياء المسلمين في أرغون:

لم يكن المسلمون أقلية في الاندلس خلال القرن الثامن الهجري\الرابع عشر الميلادي، حيث كانوا يشكلون اكثرية في الجنوب، أما الشمال فلا يوجد دليل واضح عن حجم وجودهم، ويبدو انهم كانوا يشكلون اقل من ثلث سكان الريف، وربما اكثر في

---

١ إشبيلية، مدينة بالأندلس جليلة القدر، بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام، وهي من المدن الأولى التي أسسها الأيبيريون، ثم تطورت المدينة في عهد الفينيقيين والإغريق والقرطاجيين، وأصبحت المركز التجاري للأندلس وبعد أن فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد أختارها موسى بن نصير حاضرة للأندلس، ونزلها عدة قبائل عربية، وقد لقبت هذه المدينة اهتماماً كبيراً من الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص.ص٥٨-٦٠؛ سالم، عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٨م، ص ١٠٩.

٢ الخالدي، خالد يونس، اليهود تحت حكم المسلمين في الاندلس، مكتبة جزيرة الورد، ط١، ٢١٢، ص. ص ٢٠٢-٢٠٣.

سـكان المـدن الرئيـسة مثـل سرقـسطة وشـقة وليـردا وبورجـا وغيرهـا، وكـان حـي المسلمين يعرف باسم Moreria وكان يشكل كيانا جغرافياً وسياسياً مستقلاً خارج جدران المدينة في بداية الحكم النصراني، وأصبح في معظم الحالات جزء من محيط المدينة في منتصف القرن الثامن الهجري\الرابع عشر الميلادي، وعادة معزول عن الحي النصراني واليهودي بجدران، ولكم معظم أحياء المسلمين ليس لها جدران عازلة، وكان واضحاً أن الأمر لا يحتاج إلى جدران، ذلك أنه في رسالة سنة ٧٦٢هـ\ ١٣٦٠م افترض الملك نفسه بعدم وجود تفرقة واضحة بين منازل المسلمين والنصارى في أريزا، واضطر مرؤوسوه إلى إعلامه بأن المنطقة الإسلامية كانت بالفعل مستقلة جغرافيا.

ومن الواضح مع ذلك أنه كان يُعتقد بتفضيل فكرة تقسيم الأحياء عن بعضها البعض بواسطة جدار، وهذا يدل عليه قرار صادر في ٣ يونيو (حزيران) سنة٧٦١هـ\ ١٣٦١ دعا إلى بناء حي يهودي جديد وآخر مسلم مثله، وذلك داخل أسوار مدينة تارازونا مع ضرورة تسييجه[١]. وجاء في القرار:

"نوجهكم باسمنا وتحت سلطتنا بالذهاب شخصيا إلى مدينة تارازونا من أجل بناء حي يهودي داخل المنطقة المحاطة بالأسوار إن كان ذلك ممكنا، أو في حي سانت ميكيل، أو في أي مكان هناك، بمعنى أينما رأيتم ذلك مناسبا. إلى هذا الحي اليهودي يتوجب على جميع السكان اليهود بالمدينة الآن أو مستقبلا النزوح، ومن الضروري أن يتم عزله عن المنطقة المسيحية بواسطة جدران مسيجة. ثم سوف تتوجهون لبناء حي للمسلمين بنفس الطريقة..."[٢].

وخلال حرب الاسترداد انتقل المسلمون بشكل عام من مركز المدينة إلى أحياء خارج أسوارها، كما هو الحال في وشقة سنة ٤٩٠هـ\١٠٩٦م، ولكن خلال القرن الثامن الهجري\الرابع عشر الميلادي، وبتأثير دوافع انسانية أو اعتبارات عملية، أمر الملك

---

١. Bowell, Muslims communities,p.٦٤

٢ León, Corona de Aragón y Navarra, Madrid, ١٨٤٧, p.٤١٥

النصارى بالانتقال إلى خارج المدينة ووعدهم بتعويضهم عن ممتلكاتهم بأخرى تماثلها في القيمة في الجزء الأخر من المدينة، وكان للنصارى الحرية في الدخول إلى أحياء المسلمين، وتحفل وثائق العقارات بحالات لنصارى تم القاء القبض عليهم بسبب سوء سلوكهم داخل أحياء المسلمين في بلنسية ، بينما لم يكن للموظفين الرسميين أي سلطة على الحي اليهودي إلا إذا تم تفويضهم من قبل الملك، ولا يستطيعون الدخول لا برفقة موظف يسمى الامين ، مع أن هذه الامتيازات يتم خرقها احيانا.

ويفترض أن المسلمين لا يستطيعون العيش في أحياء النصارى والعكس، وتم عقد العديد من المعاهدات التي تحظر مثل هذا الاختلاط في أماكن السكن ، ولكن الأدلة توضح عدم التقيد بهذا الحظر، فعلى سبيل المثال هناك عدد كبير من المسلمين استأجروا بيوتا من النصارى، ولذلك يفترض انهم سكنوا في القسم النصراني من المدينة ، بما أنهم من غير المحتمل أنه يملك الكثير من النصارى أملاكاً في أحياء المسلمين، ومن المحتمل أيضا أن تكون الوثيقة تشير إلى أن مسلمين شغلوا غرفا في بيوت النصارى على الرغم من ان ذلك كان محظوراً.

وفي سنة٧٦١هـ\ ١٣٥٩م، عندما تم اعادة بناء جدران قلعة أيوب ، انتقل النصارى الذين تهدمت بيوتهم بسبب أعمال الاصلاح إلى السكن في بيوت المسلمين، واسسوا هناك سكناً فيها، لكن الملك أمرهم بالانتقال خارج المدينة لأنهم استولوا على بيوت المسلمين بالقوة، كما كان من الشائع أن يقيم النصارى في النزل التي يديرها المسلمون والتي تقع داخل أحياء المسلمين، بل ان بعض المسلمين والنصارى كانوا يشتركون في ادارة نزل في حي اليهود بمدينة بورجا بسرقسطة[١].

وعندما تم قمع ثورة المسلمين في جنوب مملكة أرغون سنة ٦٢٥هـ\ ١٢٢٧م ، عين الملك موسى القسطنطيني اليهودي مأموراً هناك، وعندما استولى الفونسو على

١. Bowell, Muslims communities,p.p.٦٥-٦٩.

طليطلة[1] سنة ٤٧٨هـ\ ١٠٨٥م مستغلاً ضعف ملوك الطوائف، حول جامعها بتحريض من أسقف المدينة وزوجته الفرنسية إلى كنيسة، واعلن نفسه امبراطوراً على الملتين الاسلام والنصرانية، كما اعلن الفونسو العاشر نفسه سنة ٥٤٧هـ\ ١٢٥٢م، ملكا على الملل الثلاث الإسلام والنصرانية واليهودية، رغم بطشه بالمسلمين و اليهود، ومحاولة بسط نفوذه على العدوة المغربية[2].

وكان يتوفر ضمن حدود الحي المسلم كل ضروريات الحياة خلال القرن الرابع عشر من الأسواق و الورش ودور العبادة و المساجد والمنازل وغيرها من المرافق العامة ، وكان حي المسلمين في سرقسطة يحتوي على مدابغ و اشغال الحديد ومصادر الماء الخاصة بهما لتشغيلهما. وكانت كل الجوامع بمختلف أحجامها تحتوي على حمامات، وكان يتم الدفع لهذه الجوامع بواسطة الانفاق العام ، ويفرض رسوم دخول اسمية، وكانت ملزمة بالدفع للتاج. ومعظم أحياء المسلمين تحتوي على مقابرها الخاصة.

ومهما يكن من أمر فلم تكن الاسواق في أحياء المسلمين في أرغون تجذب المشترين من المسلمين في المناطق المجاورة فقط، خاصة أسواق اللحم، بل النصارى من العاصمة، حيث يبدو أنهم لم يكونوا يعبئون بالسعر المرتفع للحوم المذبوحة على يد جزارين مسلمين متخصصين مرخصين[3].

ويبدو أن عامل الانجذاب الرئيس للجماهير النصرانية تجاه مجتمع المسلمين كان بسبب اعتباره مركزاً للحياة المنحطة. وقد ازدهرت الدعارة، التي كانت قانونية تماما هناك، وكانت المرأة النصرانية، والمرأة المسلمة تعرض تجارتهن جنباً إلى جنب. وبين

---

١ طليطلة : مدينة بينها وبين قرطبة تسع مراحل ، وكانت عاصمة مملكة القوط، افتتحها المسلمون سنة ٩٢هـ/٧١١م، وأصبحت بعد الفتح أعظم القواعد الإسلامية. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٠٤\٣٩١-٤٠ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٣ .

٢ البشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص ٢٠٧.

٣ Bowell, Muslims communities,p.٧٠-٧١.

يناير ١٣٥٤\٧٥٥هـ ويناير ١٣٥٥\٧٥٦هـ، تم تغريم ما لا يقل عن واحدة وسبعون من البغايا من مدينة بلنسية لتقديم الخدمات بعد ساعات العمل الرسمية[١]، ودفعن غرامة إجمالية بمقدار ١١٨٦ بيزيتا٢ للتاج. وبالنظر إلى أن هؤلاء البغايا هن فقط من تمت محاكمتهن لجريمة معينة ، فإن عدد المتورطين في هذه التجارة كان هائلاً. وكانت معظم الأسماء المسجلة هي النصرانيات ، ولكن جميع النساء كانت تشارك في هذا العمل داخل مجتمع المسلمين، بل الأهم من ذلك هي اللعبة التي كان تتسمى تافوريريس Tafureries، حيث كانت من أهم الاشياء تجذب النصارى لأحياء المسلمين ممارسة تلك اللعبة يبدو أنها كانت من الالعاب الشعبية عند مسلمي الأندلس، فقد كانت كل أحياء المسلمين الكبيرة تحوي مكاناً للممارسة تلك اللعبة ، وكان المسلمون يلعبونها بشكل قانوني، أما النصارى فكانوا يمارسونها بشكل غير قانوني، ويبدو أنها من الالعاب الشعبية لدى بعض أفراد الجماعة الإسلامية، وكل ما نعرفه عنها أنها من ألعاب الحظ، والمفارقة هنا أن ألعاب الحظ، أو القمار محظورة على وجه التحديد على المسلمين من قبل الرسول عليه السلام، في حين لم يكن هناك أمر قضائي محدد ضدهم بين كلمات يسوع. ومع ذلك، فلم يكن للشرائع السماوية ولا القوانين الوضعية أثر كبير على شعبية هذه اللعبة[٣].

---

١ هي ساعة حظر التجوال أو التوقف عن العمل. انظر: Bowell, Op. Cit ,p.٧٠.

٢ هي العملة الرسمية في إسبانيا.

٣ في المنظومات القانونية في بورخا وسرقسطة يوجد قانوناً قد يكون مرتبطاً بطريقة غير مباشرة مع ممارسة ألعاب القمار، حيث أنه يقرّ بعدم وجوب دفع أي غرامة مالية عن الأضرار التي تحدث في الحانات، وفيما يتعلق بالمنظومات القانونية في أراغون، فيوجد إصرار على تشريع بعض الأنشطة في الحانات: لنفترض أن شخصاً ما، وبسبب شجار أثناء اللعب، ألحق شخصاً آخراً بجروح ونفى ذلك، فعلى الجريح أن يُثبت ذلك بشهادات من كانوا في المكان ورأوْا ذلك، وإن لم يكن في وسعه إثبات ذلك، يجب على المتهم بتسبيب الجروح أن يُقسِم بأنه لم يقم بذلك، في هذه الحالة، تعتبر شهادته بمثابة دليل كاف يثبت الحقيقة، وبالتالي لا تفرض عليه أي عقوبة. أما المنظومة القانونية في جاكا، فقد كانت تأخذ بعين الاعتبار الإساءة إلى الله، حيث أنها تتضمن قانوناً متعلقاً باللاعبين والذي بموجبه، ومن جرّاء الشتم من

وكما هو معلوم فإن القمار محرم شرعاً على المسلمين بكافة انواعه وأشكاله، وانخراط مسلمي أرغون في مثل هذه الألعاب كان لبعدهم عن الدين، وضعفه في قلوبهم، ولعل ذلك بسبب وجودهم في وسط نصراني كان يحاول بشتى الوسائل سلخ الجماعة الإسلامية عن دينها[1].

ومهما يكن من أمر، ففي وشقة مثلاً كانت الغرامة للنصارى هي ١٠٠٠ بيزيتا، وتم تعيين موظف مسؤول كان عمله الوحيد هو جمع هذه الغرامة (رسوم التافوريريس)، وفي سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨، عندما خلي المنصب، كان هناك صراع مرير عليه، ومرة أخرى في سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣ نشأ نزاع، حيث كان النصارى يشغلون هذا المنصب لمدة عشر سنوات على الأقل، ولكن في شهر مارس من سنة ١٣٦٣/ ٧٦٥هـ استولى مسلم في المدينة على هذا المنصب لنفسه، وبالطبع كان الدخل منه كبير.

وكانت التافوريريس في المرتبة الثانية بعد مهنة ممارسة البغاء الذي يدر الأموال للتاج. وخلال سنتي ٧٥٥هـ-٧٥٦/ ١٣٥٤-١٣٥٥ بلغت الغرامات التي تم جمعها من هؤلاء النصارى واليهود الذين ينظمون بصورة غير قانونية للمسلمين في لعبتهم إلى أكثر

قبل المقامرين ولاعبي النرد، والسرقة وجرائم القتل التي يرتكبونها، والعديد من الأمور الأخرى المرتكبة ضد العقيدة المسيحية، يمنع منعاً باتاً لعب النرد من قبل أي سيّد؛ وإذا فعل ذلك، فقد يعاقب بقطع يده اليمنى، بينما يخسر كل من يُقرض أموالاً للاعبين تلك الأموال وعليه بدفع ستين فلساً إلى مجلس المدينة. عن الحالة القانونية لألعاب القمار وأسباب إباحتها أو منعها خلال هذه الفترة، والتشريعات الخاصة بها في أرغون انظر:

Rojo ,María, Encarnación Gómez, REGULACIÓN JURÍDICA DE LOS JOCS D'ATZAR DINS LA NORMATIVA HISTÒRICA CATALANOARAGONESA, Revista de Dret Històric Catalàna, Societat Catalana d'Estudis Jurídics, Universitat de Màlaga, Vol. ٧, ٢٠٠٧, pP. ٢٠٧-٢١٥

١ عن موضوع الضعف المعنوي والاخلاقي عند المسلمين في الأندلس، وبعدهم عن الدين وأثره على سقوطها انظر: السحيباني، حمد بن صالح، الضعف المعنوي عند مسلمي الأندلس، د. ط. ت، ص.ص ٥٥-٢١٦.

من ١٥٠٠ بيزيتا. وهذا لافت للنظر خاصة في ضوء حقيقة أن متوسط الغرامة في بلنسية كان فقط عن ٣,٣ بيزيتا للشخص الواحد، وهو ما يشير إلى أن أكثر من ٥٠٠ شخص قد دفعوا الغرامة خلال سنة واحدة. وكان الكشف عن المخالفين هو مشكلة بسيطة ويتم عن طريق منح المخبر ثلث الغرامة التي تم جمعها. وكان التاج والمدينة يتقاسمان الثلثين الباقيين. وكان من بين هؤلاء المذنبين في السنة المذكورة كبير الجزارين في سوق اللحوم النصارى في المدينة وحتى امرأة "من العامة" من اللاتي كن يسكن في نفس الحي[١].

أما بالنسبة لتنظيم الجماعة الاسلامية، فكانت الشؤون الداخلية للمساجد – نظريا – في يد الولاة الرسميين المنتخبين والذين يعودون لهيئة المحلفين النصارى. وفي الأساس كان هؤلاء أربعة: "... نود أن يكون لديك أربعة محلفين مسلمين، وأيا كان ما هو بينكم فيمكنكم انتخابه، وهم سوف يوفرون لكم ولشؤونكم وأموالكم الرعاية [تحت القسم]." وفي الممارسة العملية، يبدو أن عددهم كان يختلف من واحد إلى أربعة، وفقا لاحتياجات ورغبات المساجد.

وقد تنوعت أساليب الانتخاب أيضاً على نطاق واسع، وفي بعض الأماكن كانوا ينتخبون من قبل رؤساء الأسر، وفي حالات أخرى عن طريق المحلفين المنتهية ولايتهم، وكان المنصب فخري ولا يدفع عنه راتب.

وفي أوائل القرن الرابع عشر حظر التاج ممارسة المحلفين بتوظيف الآخرين لأداء واجباتهم بغرامة ١٠٠ بيزيتا، وبحلول القرن التاسع الهجري\الخامس عشر الميلادي تم زيادة هذه الغرامة إلى ٢٠٠ بيزيتا، وخفضت فترة الولاية من عام إلى شهرين، إذ يبدو أن المنصب غير مرغوب فيه للغاية، وهذا ليس من الصعب فهمه.

والواقع، أنه لم يكن للمحلفين أي صلاحيات، وكانوا يعملون بقليل من المسؤولية الرسمية للحصول على الغرامات المالية المفروضة على المساجد من قبل التاج وموظفيه،

---

١. Bowell, Muslims communities,p.٧٢.

وحتى رسمياً لم يستطيعوا اتخاذ أي قرار بدون موافقة من عمدة المدينة النصراني، وكانت أهميتهم الحقيقية تكمن في وظيفته كمتحدثين عن الملك، حيث كان يعطيهم أوامر يقومون بتنفيذها داخل المساجد، وكانت تجمع الأموال باسمهم. وكانوا، في الواقع، وكلاء رسميين للملك غير مرغوبين في المجتمعات المسلمة، وبالتالي عدم شعبية هذا المنصب. ومع ذلك، كان المحلفون يقومون بتعيين مجموعة من الموظفين الصغار، الذين كانوا يؤدون الخدمة المدنية في المساجد. وشمل هؤلاء الحاجب او المنادي[1]، والجلاد، والمترجم، والكاتب العدل، والفرسان، وكبير التجار، وكاتب، ومرافق، ومعلم رسمي تعينه الجمعية لرعاية الأيتام، ولم يكن من غير المألوف للموظفين النصارى أن يحاولوا تجاوز أو التدخل في تعيين هؤلاء الموظفين، ولكن الملكية عادة قد أيدت حق المسجد[2].

يتضح مما سبق أن الجماعة اليهودية تمتعت بحرية أكبر من الجماعة الإسلامية في ادارة شؤونها الداخلية، وهي امتيازات حصلوا عليها بسبب تملقها للحكام النصارى، ومحاولة كسب ودهم على حساب التكييل بالمسلمين ولتضييق عليهم.

ويدعي بويلBowell أن احياء المسلمين كانت مرتعاً خصباً لدعارة، حيث ذكر أن أكثر ما يجذب النصارى لأحياء المسلمين أنه كان مركزاً للحياة الوضيعة، حيث كانت الدعارة المرخصة مزدهرة هناك، وكانت المومسات النصرانيات والمسلمات يعرضن بضاعتهن جنباً إلى جنب، ولكنه يعود ويناقض نفسه، ويقر ان السواد الأعظم من

---

١ هو الموظف المكلف بالنداء على المتقاضين، والاعلان عن وصول هيئة المحكمة، وعن هذه الوظيفة. انظر: Cuenca, The Code of Cuenca: Municipal Law on the Twelfth Century Castilian Frontier, University of Pennsylvania, pp. ١١٨–١١٩.

٢ Bowell, Muslims communities, p.p. ٧١–٧٢.

المومسات كن نصرانيات تم جلبهن لممارسة نشاطهن في أحياء المسلمين، ولعل ذلك كان جزءا من المخطط الصليبي لإضعاف الهوية الإسلامية في المجتمع النصراني[1].

ومما يدل على تشدد المسلمين في مسألة الزنا، وحرصهم على الالتزام بحدود الشرع، أن جامع بلنسية اشترى من الملك بيتر امتياز يعطيهم الحق في انزال عقوبة الاعدام على أي امرأة مسلمة يثبت تورطها في الزنا، دون أن يكون هناك امكانية للعفو عن طريق دفع مبالغ مالية، كما جاهدت الجماعة للمحافظة على الحدود الاجتماعية والاقتصادية بين المسلمين وبين اليهود والنصارى، ففي سنة٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م، وخلال الحرب مع قشتالة، استغل المسلمون حاجة الملك بيتر الملحة للتفاوض معهم، واشترطوا عليهم اعطاءهم وعداً بألا يسمح لأي يهودي أو نصراني بالعيش ببينهم، كما كانت الجماعة على استعداد لدفع مبلغ كبير من المال للتاج لتجنب مشاركة اليهود في سوق اللحم والافران و الحمامات وغيرها من المرافق العامة[2].

ومن المؤكد أن المسلمين كانوا يريدون من وراء ذلك المحافظة على هويتهم الاسلامية واستقلالهم، ومن المحتمل أيضاً أنهم أرادوا تجنب المصادمات بينهم وبين اليهود والنصارى.

أحياء اليهود في أرغون:

أما اليهود فكان لهم هم الآخرين أحيائهم الخاصة، فقد عملت الكنيسة على عزل اليهود عن النصارى بشتى الوسائل مهما كلف الامر، لذلك عاش اليهود على شكل مجموعات داخل احياء خاصة بهم[3].

---

١. Bowell, Op. Cit,p.٧٢

٢ Nirenberg, David, Muslim- Jewish Relationship in the Fourteen Century Crown of Aragon, California, University of California,٢٠٠٥, p.٢٥٢.

٣ Montalvo, Jose, The Jews of the Kingdom of Valencia. Hispania Judaica, Varda Book, ٢٠٠٩, V٩, p.٢١

وكان الحي اليهودي يضم المعبد اليهودي، والمخبز ، والمقبرة اليهودية بالإضافة إلى المسلخ. وتعد بلنسية و وشقة وسرقسطة وقلعة أيوب من المدن الرئيسة لأهم التجمعات اليهودية في مملكة أرغون.

ويقع الحي اليهودي في وشقة في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة، وتقع على مقربة منه كنيسة سبريان Cyprian، الأمر الذي أدى الى حدوث مصادمات بين اليهود والنصارى في وشقة ، لأن النصارى كانوا يجتازون الحي اليهودي اثناء ذهابهم الى الكنيسة من أجل سرعة الوصول اليها، وقد أعطى جيمس الأول اليهود صلاحية إغلاق الحي اليهودي خلال عيد الفصح والخميس المقدس[1] حتى صباح السبت، ويضم الحي ثلاث معابد يهودية، صغير ومتوسط وكبير، وقد بقيت هذه المعابد حتى طرد اليهود من الأندلس سنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م، وحتى بداية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي كان اليهود يشغلون ١٠٨ منزلاً في وشقة، بينما المسلمون ٦٩ منزلا، وهذا يعني ان عدد اليهود في المدينة يتراوح بين ٥٥٠ الى ٧٠٠ .

أما المقبرة اليهودية، فقد ورد ذكرها لأول مرة سنة٥٥١هـ / ١١٥٦م، وبعد طرد اليهود من الاندلس تغير اسمه إلى Barrio Nuevo كغيره من الأحياء اليهودية التي تم تغيير اسمها، وخلال القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين انخرط اليهود في وشقة في التجارة والإقراض الربوي والحرف اليدوية[2].

وفي قلعة أيوب كان الحي اليهودي بين المسجد والكاتدرائية متاخما للجدار الغربي من المدينة ، كما عاش اليهود أيضا في منطقة القلعة، وفي نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، اشارت السجلات الى جامع تم بناؤه هناك بشكل قانوني، وفي عهد بيدرو الثالث هاجم الغوغاء الحي اليهودي وحطموا بواباته خلال

---

١ خميس العهد أو الصعود ويشير إلى العشاء الأخير للمسيح واعتقاله وسجنه. انظر: : الموسوعة العربية ، ١٢٤٧/٢.

E. Feldman, in: Papers of the Fourth World Congress of Jewish Studies, ٢, ١٩٦٨, ٢١٩–٢٢. ٢

مراسم تنصير بشر بها الرهبان، عندئذ شدد بيدرو على أوامر والده بالا يجبر اليهود على التحول إلى النصرانية.

أما الحي اليهودي في بلنسية، فكان يقع في الجانب الشرقي من رحبة القاضي[1] في الموقع الذي تقوم فيها الآن كنيسة Santa Catalia، وفي سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤ ضمن لهم الملك جيمس الاول James I (٦١٠–٦٧٠ هـ/١٢١٣–١٢٧١م) الحي بأكمله، وكان هناك بوابة خاصة تسمى بوابة اليهود تؤدي إلى المقبرة اليهودية، وقد منح جيمس الاول اليهود وكل المقيمين في الحي حقوق كثيرة، وتمتعت الطائفة اليهودية بقدر كبير من الاستقلال حتى أنه كان يحق لنظامها القضائي أن يتعامل مع الجرائم الجنائية، ونتيجة لتزايد النمو السكاني لليهود خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين قررت سلطة المدينة سنة ٧٩٤ هـ/١٣٩١م توسعة الحي وذلك قبل عام واحد من تدمير الطائفة اليهودية.

وخلال أعمال الشغب زمن ظهور الطاعون سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م، حصن اليهود انفسهم في حيهم، ولذلك بقوا في مأمن، ولكن من ذلك العهد بدأ الانحطاط يظهر في الطائفة اليهودية، وزادت مصاعب اليهود سنة ٧٧٨ه /١٣٧٦م حتى أنه كان عليهم ان يرهنوا التوراة ليسددوا الديون التي عليهم للملك، وفي سنة ٧٧٨ه / ١٣٧٧ تم القبض

---

١ بعد سقوط بلنسية سنة ٤٨٨ه، كان من أبشع وأقسى صور الانتقام التي ارتكبها صليبيي الأندلس حرق القاضي ابن حجاف في ساحة المدينة على مرأى من الناس في موضع عام لعله ما يعرف اليوم باسم: رحبة القاضي. عن تفاصيل هذا الموضوع: ابن الأبار، محمد بن عبدالله (ت ٦٥٨هـ)، التكملة لكتاب الصلة، صححه وعني بنشره عزت العطار، القاهرة، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧٥هـ، ٤١٢/١، ٢٨٦؛ الحلة السيراء، تحقيق، حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط١، ١٩٦٣م، ١٢٦/٢؛ ابن بسام الشنتريني، علي بن بسام (ت ٥٤٢هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، إحسان عباس، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٣٩٨هـ. ٣/ ٥٧–٦٢، ٣٥٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق، ليفي بروفنسال، باريس، بولس جبتر، ١٩٣٠م، ٣/ ص٢٨٩، ٣٠٥، ج٤، ص٥، ٣١–٤١، ١٤٨؛ الحجي، عبد الرحمن، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دمشق، دار القلم، ط٢، ١٤٠٢هـ.، ص٣١٧.

على عدد من نبلاء الطائفة بتهمة سرقة حيث تم تعذيب البعض منهم وأحرق آخرون بينما حاكمت حكومة سرقسطة البقية وفي النهاية اطلقت سراحهم.

وقد ضمن جيمس الاول ليهود بلنسية نفس الحقوق التي ضمنها ليهود سرقسطة، وكان الحي يضم العديد من المعابد اليهودية التي تم تدمير عدد منها خلال اضطهاد سنة ٧٩٤ هـ/١٣٩١م، بينما تم تحويل الباقي إلى كنائس، كما تم تشييد جدار خاص حول الحي اليهودي قبل فترة بسيطة من وقوع اضطهاد سنة ٧٩٤ هـ/١٣٩١م.مما ادى الى وقوع معارضة شديدة من جانب السكان النصارى، ويعد الحي اليهودي في بلنسية من أكبر أحياء شبه القارة الايبيرية، ولكن لم يبق منه شيء الآن[١].

أما سرقسطة فكان فيها طائفة يهودية تعيش هناك منذ العهد الاسلامي، وكانوا يشتغلون بالإضافة إلى التجارة في صناعات مختلفة كالأقمشة والجلد والأحذية، ومنذ العهد الاسلامي حتى عشية طرد اليهود من الأندلس سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٢م، استمر موقع الحي اليهودي في سرقسطة داخل جدران المدينة في القسم الشمالي الشرقي[٢]، وكان الحي القديم محاط بالجدران الرومانية ، وجدران داخله تفصله عن المناطق النصرانية، وهذا الحي له ست بوابات، ومركزها اليوم شارع سان دومينجو Santo Dominguito، وكان الحي يحتوي على حصن اليهود والمذبح والمعبد الكبير والمشفى، وفي داخل الحصن يوجد سجن لليهود والمسلمين.

ونتيجة لنمو الطائفة في سرقسطة تم تأسيس حي جديد في نهاية القرن السابع الهجري\ الثالث عشر الميلادي، يقع إلى الجنوب من الحي القديم وكان يعرف باسم Barrionuevo، وكانت مباني الطائفة اليهودية تضم سلسلة من المعابد: المعبد الكبير والصغير، وعندما احتل ألفونسو الأول "المحارب" (٤٩٨-٥٢٩هـ/١١٣٤-١١٠٤م)

---

١ A. López de Meneses , Estudios de Edad Media de la Corona de Aragón, ٦ ,١٩٥٦, p.p ٤٨, ٤٩, ١٠٢, ١٠٣, ١٤١

٢ أما الان فلم يبق منه شيء، وموقعه اليوم خلف أحد الفنادق.

سرقسطة سنة ٥١٢هـ/١١١٨م ، أعطى لليهود امتيازات متنوعة، وكان له علاقة قوية مع يهودي يسمى اليزار، الذي يعيش في سرقسطة وتم تعيينه في خدمة الملك[١].

كانت إدارة الطائفة اليهودية متشابهة في التنظيم في كل مملكة أرغون، حيث يرأس الطائفة مجلس مكون من ثلاثين عضواً، يتم اختيار خمسة عن طريق القرعة كمقدمين، ويشرف على الطائفة المأمور العام الذي يعد ممثل الملك، كما يتم تعيين موظف آخر للإشراف على السوق وانشطته المختلفة[٢].

ولا يفهم من انعزال اليهود في احياء خاصة بهم عدم اختلاطهم مع سكان أرغون الآخرين، أو عدم وجود احتكاك بينهم وبين النصارى، فعلى الرغم من هذا العزل إلا أن الحي اليهودي كان مأوى للجانحين والخارجين على القانون، وأحد الأماكن بالإضافة إلى حي المسلمين التي يرتادها النصارى للعب القمار[٣].

ومهما يكن من أمر كان العصر الذهبي لليهود في مملكة أرغون يشمل عهد بيدرو الثاني وألفونسو الثالث Alfonso III (٦٨٤-٦٩٠هـ/ ١٢٨٥-١٢٩١م)، وخايمي الثاني(٦١٠-٦٧٥هـ/ ١٢١٣-١٢٧٦م)، وكان اليهود يقدمون المال والخدمات للتاج، وفي المقابل كان الملك ينعم بعدد وافر من المراسيم الامتيازات على الجماعة اليهودية في مملكته، وكانت هذه لامتيازات تنظم الضرائب والإعانات المالية، والمدفوعات الأخرى، وتضمن لليهود العيش بحرية وفق شريعتهم وقوانينهم، ومن هذه الامتيازات التي حصل عليها اليهود حق الحكم الذاتي للجماعة اليهودية، وتعيين قادتها، والحفاظ على المقبرة اليهودية، وحق تجديد المعبد اليهودي، والذبح وبيع لحم الكاشير اليهودي وغيرها[٤].

---

١ López de Meneses , Estudios de Edad Media, p.p ٤٨, ٤٩, ١٠٢, ١٠٣, ١٤١١

٢ López de Meneses , Op.Cit, p.p ٤٨, ٤٩, ١٠٢, ١٠٣, ١٤١٢

٣ Montalvo, The Jews of the Kingdom of Valencia., V٩, p.٢١٣

٤ Asis, Yom Tov, The Golden Age Of Aragonese Jewry: Community And Society In The Crown Of Aragon, ١٢١٣-١٣٢٧, Cambridge University, ١٩٩٩, p.p ٣٩١-٣٩٦.

العلاقة بين المسلمين واليهود:

الملاحظ من خلال استقراء الوقائع والأحداث، أن تلك العلاقة كانت في أغلب الأحيان عدائية، نظراً لطابع التنافسي الذي يصبغ علاقة الأنداد ببعضهم البعض، وكان اليهود هم من يبدأ باستثارة المسلمين واشعال فتيل الخصومة، بمسوغات متعددة، منتهزين كافة الفرص، وتكشف الوثائق التاريخية مواطن وأسباب متعددة لنشوب مثل هذه المصادمات بين الطرفين، منها العقدية أو الاقتصادية أو الاجتماعية و هذا ما سنحاول الكشف عنه من خلال هذا المبحث

كانت المناسبات فرصة لليهود للإدعاء على المسلمين واتهامهم بتهم قد تكون ملفقة، فقد رفع يهود دروقة Daroca شكاية إلى الملك سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٩١م ادعوا فيها: انه بعد سماعهم بهلاك الملك الفونسو، اعدوا استعراضاً لجنازته وحملوه في نعش عبر المدينة، ولكن عندما مروا بجامع المسلمين هاجموا النعش بالسيوف، فأتلفوه وجرحوا اليهود، كما هاجم المسلمون في مدينة دورقة Daroca على اليهود هجوما عنيفاً سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م، عندما كان الأخيرين يستعدون لأحياء ذكرى وفاة الملك بيتر الثاني Peter II[١].

ومن المحتمل أن يكون لهذا الهجوم دوافع دينية – عرقية، ولكن لا توجد دلائل على مشاركة المسلمين أو حتى اليهود في هذه المناسبة، أو أن أشخاص معينين كانوا مقصودين بهذا الهجوم، لذلك يجب أخذ الدافع الدنيوي او الشخصي في عين الاعتبار أكثر من الدافع العرقي او الديني، والحقيقة أن السبب الرئيس وراء اشتباك الطرفين يعود بالدرجة الأولى لأسباب دنيوية؛ إذ له علاقة بترتيب أبناء الطائفتين في المسيرة، أو بمعنى أخرى المكان الذي سيحتله أبناء كل جماعة عرقية أو دينية في هذه المسيرة، لأن ذلك يعكس مقدار حظوتها ومنزلتها عند الملك، ومدى قوة وهيبة رؤسائها٢.

---

١. Nirenberg, communities of Violence, p. ١٨٠

٢ Catlos, Brain. A, The victors and Vanquish, Christians, and Muslims Of Catalonial, p.٣١٩

وهكذا أصبحت مسير الجنائز الملكية خلال القرن الرابع عشر مناسبة لاندلاع أعمال العنف بين المسلمين واليهود للمنافسة على موقع أكثر تميزاً في الموكب الملكي، وهو ما يدل على اختلال التوازن الاجتماعي بين اليهود والنصارى، مما جعل اليهود يشعرون بالحاجة إلى تعزيز مكانتهم وهيبتهم بوضع أنفسهم في موضع متقدم على المسلمين[1]، وقد تكرر هذا النوع من الصراع بين المسلمين واليهود أثناء الاحتفالات خلال القرن الرابع عشر، فقد هاجم المسلمون واليهود يعضهم البعض وهم يرقصون ويقفزون، معبرين عن فرحهم في احتفال بمناسبة مولد فردناند[2]، وفي سنة ٧٢٥ هـ/١٣٢٤م فرض الملك جيمس على المسلمين غرامة قدرها خمسين الف سوس؛ لأنهم هاجموا اليهود أثناء مرورهم بجامع المسلمين بمناسبة الاحتفال بانتصار الأمير الفونسو في سردينيا[3]، حيث أصيب اثني عشر يهودياً إصابات خطيرة، وقد دافع المسلمون عن أنفسهم هذه التهمة، وذكروا أن اليهود هم اللذين بدؤوا بالهجوم[4].

لم تكن الطائفية هي المحرك الرئيس وراء اعتداءات بعض المسلمين على اليهود أو النصارى، بل لعب العامل المادي دوراً رئيساً في هذه المسألة، والدليل على ذلك أن شخصا من أهالي وشقة يدعى عبد الملك ، قام بنهب المقبرة اليهودية في بلدته وشقة

---

١ Catlos, Op. Cit, p.٣١٩

٢ Nirenberg, Communities of Violence, p.١٨٠.

٣ سردينيا: هي ثاني أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط (بعد صقلية وقبل قبرص). ويجاورها جزيرة كورسيكا الفرنسية وشبه الجزيرة الإيطالية وصقلية وتونس وجزر البليار الإسبانية، غزا المُسلمون جزيرة سردينيا أربع مرَّات في عهدي الأمويين والعباسيين (حسب ما ذكره المؤرخ ابن الأثير)، وقد غنموا منها كثيراً، غير أنها لم تُفتَح أيَّ مرة. انظر: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٣، ص٥٦٧ و٥٦٨.

٤ Nirenberg, communities of Violence, p.١٨٠.

Huesca، والمعبد اليهودي في مدينة مونثون Monzon[1]، وقد يبدو الأمر للوهلة الأولى مؤشراً للعنف الطائفي ، ولكن الصورة ستتضح أكثر إذا علمنا أن عبد الملك هذا أردى مسلماً من أبناء ملته خلال اعماله الإجرامية، كما اتهُم بإحداث ضرر وإصابات، وارتكاب الكثير من الأعمال السيئة ضد المسلمين واليهود والنصارى على السواء، ولو كان الهدف طائفياً لما اعتدى على من يماثله في الدين[2].

ولم تكشف وثائق القرن السابع الهجري/الثالث عشر عن حلقات جديدة أو أحداث جديدة تدل على العنف الطائفي اليهودي تجاه المسلمين، ولكن في الوقت ذاته نرى أن تعصب اليهود اتخذ شكلاً أكثر دهاءَ، فقد لعب اليهود بسلاح الضغط الاقتصادي، والذي يتمثل في استغلال المديونين المسلمين[3].

ومهما يكن من أمر، فقد عملت الهيئات المؤسسية التي كانت تعمل على إحداث الاستقطاب في العلاقات النصرانية– اليهودية على تعميق الصراع بين صفوف المتدينين بنفس الأسلوب لإحداث الوقيعة بين الأقليات.

وخير مثالين على ذلك هما: أسواق اللحوم، وإقراض المال وهما موضوعان يستحقان المعالجة والاهتمام. ومما يجدر ذكره، أنه في أحيان كثيرة كان المسلمون والنصارى يقفون جنباً إلى جنب في علاقة معارضة مع اليهود، ولهذا السبب يجب النظر إلى ما يلي على أنه حالتي دراسة تعتمدان على الأسس المادية والمؤسسية في معاداة المسلمين والنصارى لليهود.

---

١ مونثون Monzon: عرفها المسلمون باسم مُنتشون هي مدينة صغيرة في منطقة أراغون، وهي تقع في شمال شرق مقاطعة وشقة. انظر عنها: أرسلان، شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، مصر ، المطبعة الرحمانية ، ط١، ١٩٣٦م، ج١، ص١٩٦.

٢ Catlos, Brain. A, The victors and Vanquish, Christians, and Muslims Of Catalonial, p.٣١٩

٣ Catlos, Op. Cit, p.٣٢٠

كما هو معروف فإن أسواق بيع اللحوم كانت مكاناً للصراع الحاد بين النصارى واليهود، وقد أرجع بعض الباحثين السبب في هذا التوتر في العلاقات إلى الاعتقاد بأن اليهود "غير أطهار"، ومصدر تلوث، بينما أرجعه آخرون إلى ارتباط أسواق بيع اللحوم بالدم. وقد ظهر تفسيران آخران ربما كانا أكثر إقناعاً. الأول: هو التساؤل عن اقتصاد إقامة الشعائر الدينية. فبدون وجود بعض المحلات التجارية لبيع اللحوم التي ثَبُتَ أنها لا توافق شريعة اليهود بعد ذبحها (عادةً ما يرجع ذلك إلى إصابتها بمرض السل في الرئتين)، فإن تناول اللحوم يمكن أن يصبح له ثمن باهظ جداً. فإن بيع مثل هذه اللحوم وإن كان بأسعارٍ مخفضةٍ للمسلمين والنصارى قد وفَّر حلاً لهذه المعضلة، إلا أنه أثار أيضاً حفيظة الجزارين النصارى الذين رأوا بأعينهم أسعارهم المعتادة تُقَوَّض. كما رأي بعض النصارى أن مثل هذه التخفيضات في الأسعار تتناسب مع معتقداتهم. ولم تكن تناسبهم حسب الأوامر الإلهية وهي أن النصراني يجب عليه تناول اللحم الذي يلفظه اليهودي وهي جدلية وصلت إلى أشدها عندما أصدر البابا بينديكت الثالث عشر سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥ مرسوماً كنسياً يهدد فيه بالحرمان الكنسي لكل شخص يقبل بتناول طعام من اليهود[١].

وكما هو معروف فإن لحوم أهل الكتاب من اليهود والنصارى مباحة للمسلمين[٢]، كما قال تعالى في كتابه العزيز ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾[٣].

يتضح مما سبق ان السبب الرئيس لمثل هذه الخلافات، ليس نجاسة لحوم اليهود، ولكن بسبب اصابتها بالأمراض، مما يجعلها غير صالحة للاستهلاك، ولعل ذلك سبب

---

١ Montalvo, The Jews of the Kingdom of Valencia , p.p. ١٢٦–١٢٧; Nirenberg Muslim-Jewish Relationship ٥, p.٢٦٠.

٢ ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٩م)، أحكام أهل الذمة، دراسة وتحقيق: سيد عمران، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م، ١٨١١٢–١٩٥.

٣ سورة: المائدة، آية: ٥.

اتحاد المسلمون والنصارى في طرطوشة في اصدرا مرسوم يحرم بيع اللحم اليهودي لأتباع كلا الديانتين أي الإسلام و النصرانية[1].

وقد كانت لدى مجالس البلديات رغبة عارمة في استعارة هذا الجدال الديني فقط لأسباب مختلفة. فربما كانت أسواق بيع اللحوم أكثر مناحي الحياة تنظيماً في الحياة خلال القرون الوسطى. فقد كان لدى هؤلاء السادة الإقطاعيين حقوقاً في طاولات الجزارين نفسها، إلا أن أسعار اللحوم واستيرادها، ومرعى ورعي القطيع المنتظر للذبح وحتى رواتب الحُراس الذين كان يحرسون هذه القُطعان كلُ ذلك ينظمه مرسوم من البلدية. ويمكن أن يفرض الملك (التاج الملكي) أو اليهود أو مجتمع المسلمين أو مجلس البلدة ضرائب على اللحوم ويتم جمع هذه الضرائب في أماكن بيع اللحوم من قِبَل الجزار. وفي أحيان كثيرة كان اليهود أصحاب طاولات الجزارين المستقلة والهياكل الضريبية والامتيازات الملكية يجدون أنفسهم في خلافات مع مسئولي البلديات النصارى وفي أحيان كثيرة كانت تظهر التعبيرات البلاغية المعادية لليهود أمام هذه المحاكم والسلطات القضائية[2].

وقد أثَّر هذان العاملان في العلاقات بين المسلمين واليهود تأثيراً يفوق أثرهما في العلاقات بين النصارى واليهود؛ فقد أدت إلى توتر العلاقة بين الطرفين، وأصبحت أسواق اللحم مسرحاً واسعاً للصراع بين المسلمين واليهود، يسعى فيه كل طرف إلى احتكار هذه الحرفة، خاصة اليهود الذين حاولوا الاضرار بالجزارين المسلمين بشتى الوسائل .

و نظراً لأن كلاً من المسلمين واليهود قد شكلا جزءً من "الكنز الملكي". فقد كان الملك (التاج الملكي) يمارس عليهما معاً حقوقه. يمكن منح حقوق احتكار الخبز وأفران الشمع وأسواق بيع اللحوم وحتى السجون كي يستخدمها أفراد كلا الديانتين، وقد كانت الأسواق المشتركة لبيع اللحوم خاضعة على الدوام لسيطرة اليهود، ونظراً

---

١. Nirenberg , Communities of Violence, p.١٧٢.

٢. Nirenberg, Op. Cit, p.٢٦٠.

لأن هذه الأسواق كانت تُقام في مدنٍ لم تكن فيها تجمعات المسلمين كبيرة أو لم يكونوا أثرياء بالقدر الذي يكفي لشراء حق أن يكون لهم سوقٌ خاصٌ بهم. وتمثل حالة مدينة طرطوشة مثالاً ونموذجاً جيداً عن الصراع الذي يمكن أن ينشأ عن ذلك.

وفي سنة٧٢١هـ/١٣٢١م وبعد الدعاوى القضائية المطولة منح الملك جيمس الثاني لمسلمي طرطوشة حق بناء أسواق لحوم خاصة بهم على الرغم من ادعاء اليهود وزعمهم أن المسلمين يحق لهم من الناحية القانونية والشرعية شراء اللحوم التي تتوافق مع شريعة اليهود والتي قام اليهود بذبحها. وقد كان على المسلمين دفع ٦٠٠ سو برشلوني (عُملة قديمة) للحصول على هذا الامتياز. إلا أن الملك في مرحلة لاحقة ولكي يُرضي اليهود قد حظر على المسلمين إقامة أسواق اللحوم الخاصة بهم حتى لا تحدث بينها وبين أسواق اللحوم الخاصة باليهود منافسة، كما سمح لكافة المسلمين الذين ليسوا جميعاً في الواقع من مدينة طرطوشة بالاستمرار في شراء اللحم من اليهود أو من أي مكانٍ آخر. وفيما بعد من العام نفسه عندما اشتكى اليهود مرةً أخرى أمر بتدمير أسواق اللحوم الخاصة بالمسلمين ونقلها إلى داخل أوساط المسلمين وذلك للحد من زبائنها. وبالطبع وبمجرد امتلاك المسلمين لأسواق لحوم خاصة بهم فقد عانوا من نفس هذه النوعية من النزاعات مع المؤسسات والهيئات البلدية المسيحية التي عانى منها اليهود. وبحلول سنة٧٢١هـ/ ١٣٢٢م أصبح المسلمون في صراع مع اليهود على الضرائب المفروضة على اللحوم وليس في صراع مع اليهود على حقوق الاحتكار[١].

وقد نشأ نزاع حتى في البلدات التي كانت تضم جزاراً خاصاً بكل طائفة. لأنه كان يتوافر لدى اليهود في بعض الأحيان لحوم لا تتناسب مع شريعتهم تباع بأسعار أقل من أسعار الجزارين الآخرين، عندها يمكن إغراء غير اليهود بشرائها فقد تعاملت السلطات النصرانية مع هذا الأمر من خلال فرض حظر كنسي وحظر من البلديات عليها

---

١ Nirenberg, Communities of Violence, p.١٧٢; Nirenberg, David, Muslim- Jewish Relationship, p.٢٦١.

وكذلك أيضاً فعل المسلمون، كما أقرت الجماعة الإسلامية في سرقسطة مرسوماً يعاقب كل مسلمٍ يشتري اللحم من جزار يهودي بغرامة تُقدَّر بخمسة سو أو أن يُجلد الواحد منهم خمس جلدات بالسوط. كما أشاعوا أيضاً بين الأوساط الدينية: أنهم قد أخبروا الملك أن اليهود يبيعون لحوم حيوانات مخنوقة (منخنقة) وأشياء نجسة أخرى لا يأكلها اليهود وهي في نفس الوقت محرمةٌ على المسلمين[1].

ولاشك أن هذا الأجراء الذي اتخذته الجماعة الإسلامية في أرغون يدل على محاولتها الحفاظ على جذورها الإسلامية، والتقيد بإحكام الشريعة، لأن المنخنقة من أنواع اللحوم المحرم على المسلمين، وذلك بنص في القرآن الكريم" ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾[2]

كان إقراض المال مجالا آخر من أنشطة الدولة التنظيمية الذي استقطب العلاقات بين اليهود والمسلمين بقدر ما فعل مع العلاقات اليهودية–النصرانية. حقيقة أن اليهود كان مسموحا لهم بموجب القانون الإقراض بفائدة في حين لم يكن ذلك مسموحا للمسلمين والنصارى كان لا بد لها وأن تؤثر على العلاقات بين هذه الجماعات، على الرغم من ذلك، فقد تمكن عمليا بعض المسلمين وكثير من النصارى من إيجاد سبل لإقراض بفائدة، وكان جمع الفائدة من قبل اليهود وفرض الضرائب عليها لاحقا من قبل السلطة الحاكمة أحد الموارد الرئيسة لتدفق الأموال إلى خزانة الدولة، وكانت المفاوضات حول قرض الوقف الاختياري والتقاضي على القروض أكثر أشكال التواصل شيوعا على الأرجح بين المسلمين العاديين والمسيحيين مع السلطة الحاكمة والمحاكم التابعة

---

١. ACA: C١٩٦. Fol. ٢٨v(١٣٢٨\١٠\١٥).

ACA: C٤٣٠. Fol. ٢٩v(١٣٢٩\١٠\١٨).

Nirenberg, Muslim- Jewish Relationship, p.١٧٢.

٢ سورة: المائدة، آية: ٣.

لها. لذلك لم يكن غريبا تواجد أمثلة عديدة للتوتر بين الأفراد المسلمين واليهود على الديون.

كانت هناك العديد من الاستراتيجيات التي استخدمها المسيحيون في نزاعاتهم القانونية مع اليهود على الديون، بدءا من الاتهامات بالتعاطي للربا الفاحش، وممارسة الشذوذ الجنسي، أو الكفر باستخدام التمائم السحرية ضد العدالة السيئة والابتهالات للقانون الديني[1]، وقد شارك المسلمون في العديد من هذه الاستراتيجيات مع بعض الاستثناءات، فلم يكن من الواضح على سبيل المثال ما إذا كان المسلمون محميون بموجب قوانين الربا التي أعطت النصارى قوة دفاعية ضد الدائنين اليهود أم لا، لأنه في بعض البلدات تمتع اليهود لمدة طويلة بامتياز الإعفاء من غطاء العشرين في المئة على أسعار الفائدة في قروضهم للمسلمين.

ربما يعد أكثر أشكال العداء العام وضوحاً بين المسلمين واليهود في مسائل إقراض المال هو التضامن الذي أظهره مسئولون محليون مسلمون في كثير من الأحيان مع إخوانهم في النزاعات القائمة حول قروض من اليهود، فسجلات السلطة في أراغون مليئة بالشكاوى اليهودية حول رفض مسؤولين مسلمين (وآخرين نصارى) تطبيق العدالة لصالحهم بخصوص مقاضاتهم للمسلمين، ويبدو أن المسلمين قد توقعوا مثل هذا النوع من التضامن من مسئوليهم[2].

اعترف أحد الشهود ضد يوسف الهواه، فقيه مدينة طرطوشة، بأنه كان يكره يوسف واعتبره عدوا له لأن الفقيه قد فرض بالقوة أحكاما قضائية كان أحد الدائنين اليهود قد حصل عليها ضده. وفي الحالات القصوى، كان يمكن للملك التهديد بتطبيق إجراءات تأديبية، كما هو الحال عندما هدد بعزل الفقيه المسلم لمدينة بورخا بسبب

---

١. ACA: C٤٣٠. Fol. ٢٩٧v(١٣٢٩\١٠\١٨).

Nirenberg, Muslim- Jewish Relationship, p.١٧٢.

٢. Nirenberg, Op. Cit, p.٢٥٩.

التحيز الذي أبداه المسؤولون ضد المدعين اليهود. في مدينة قادس المسلمة، كان فيها محاباة لإخوانهم المسلمين، وبالتالي فإن اليهود في بورخا وسرقسطة وطرطوشة اشتكوا من القضاة المسلمين الذين استحضروا "المسلمين الذين ظهروا وقدموا حديثا" من أجل التهرب من دفع الديون.

وحتى عندما لم يكن التضامن الديني حاضرا صراحةً، كان يمكن للخلافات حول القروض أن تتحول بسهولة إلى أعمال عنف بين المسلمين واليهود. فحتى المرابون كانوا يخططون لإمكانية حدوث مثل هذا النوع من العنف، كما فعل أحد اليهود من سرقسطة الذي كان حريصا على جعل الأمير بيتر يكتب لمسلمي ألفامين Alfamén[1] ويحذرهم من المساس به عندما مر بالمنطقة يجمع ديونه[2].

وغالبا ما كان يسبق هذا النوع من العنف تبادل للشتائم. مثال ذلك كانت تجربة اليهودي إسحاق فرانكو من بورخا، والذي وجد أن بعض المسلمين من ماليشانت، الذين كانوا مدينين له، قد قطعوا واقتلعوا كرمه بعد "خلاف لفظي حاد". ولم يكن العنف ضد الممتلكات سوى خطوة قصيرة نحو العنف ضد الأشخاص.

كان قتل المرابين أثناء سفرهم في الأرياف لجمع ديونهم أمرا ليس خارجا عن نطاق المألوف، وقد شارك المسلمون في هذا النوع من العنف، وأحيانا جنبا إلى جنب مع النصارى. فقد تعرض ثلاثة يهود من لريدا، على سبيل المثال، للقتل سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م من قبل اثنين من النصارى (واحد منهما كان مأمورا) وثمانية من المسلمين. يمكن تصنيف هذا العنف بأنه "ظرفي" لأنه نابع من علاقات معينة بين الأفراد المسلمين واليهود، وليس من تعصب "للهوية الدينية"، ولكن رغم ذلك كان الأمر متصلا مع نفس قضايا الوضع القانوني والديني التي كانت تهيكل العلاقات النصرانية اليهودية[3].

١ألفامين Alfamén: هي بلدية تقع في مقاطعة سرقسطة التابعة لمنطقة أراغون شمال شرق إسبانيا.

٢. Nirenberg, Op. Cit, p.٢٥٩

٣. Nirenberg, Op. Cit, p.٢٥٩

كما شكل ضرب وسجن دائن يهودي من قبل خدم مسلمين لرئيس دير فالدينيا سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م قضية حول الموضوع، فقد ذهب أبراهام أتاريلا، وهو يهودي من الجزيرة، إلى قرية أومبريا[١] لتحصيل دين من مسلم كان يدعى أزميت آيجا. وعندما كان في منزل المسلم تحرك هذا الأخير بفعل روح شريرة وتجاهل القوة الإلهية والسلطة الملكية، وتجاهل حقيقة أن هذا اليهودي وجميع اليهود الآخرين تحت حراسة وحماية الملك. فالتقط حربة وحاول قتل أبراهام. ففر اليهودي إلى منزل مسلم مجاور، لكن أزميت أظهر الاحتجاج والصراخ وحرض المسلمين على إثارة الشغب ضد أبراهام، فتم الهجوم عليه حسب الادعاء[٢].

حتى الآن يبدو أن الحادث محلي فقط، ولكن الحجج القانونية المقدمة كشفت أن للحادث صلة بقضايا الوضع القانوني اليهودي والأساسي في موقف اليهود وجها لوجه مع المسلمين والنصارى وقد أصر الملك أن السلطة القضائية بخصوص القضية ترجع إلى المأمور العام في بلنسية، وهو مسؤول ذو سلطة ملكية. وكان كل اليهود ينتمون إلى "قاعة الملك"، و "كنز الملك"، وأي قضية تتعلق بهم سواء وقعت على الأراضي الإقطاعية أو الملكية، أو تورط فيها المسلمون أو النصارى، تخضع للسلطة القضائية الملكية.

صحيح أن اليهود ينتمون إلى الملك أيا كان المكان الذي يسافرون إليه، ولكن الولاية القضائية على الجرائم التي ارتكبها اليهود تعود إلى رب المكان الذي ارتكبت فيه، وهذا يلخص بدقة الصراع بين النبلاء والتابعين لهم من جهة، والسلطة الملكية واليهود من جهة أخرى. ذلك أن غالبية المسلمين كانوا إقطاعيين وليس خدم ملكيين. لقد مالت الصراعات على الولاية القضائية إلى استقطاب كلا الطائفتين.

---

١ لم أجد لها ترجمة، ولكن من الواضح انها إحدى قرى الأندلس.

٢ Nirenberg, Muslim- Jewish Relationship, p.٢٦٣.

ولا نحتاج إلى افتراض أن هذا النوع من العنف لا يمثل قاعدة معينة. فقد كانت الغالبية العظمى من علاقات الديون بين المسلمين واليهود غير ملحوظة، تماما كما كان الحال في نفس العلاقات التي تربط بين اليهود والنصارى. ورغم ذلك، كان المسلمون قادرين مثل المسيحيين على تعميم حالة عنف ظرفية معينة وتحويلها إلى ضرب من ضروب معاداة اليهود على نطاقا واسع. في سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨ على سبيل المثال، اضطر الملك بيتر للتوسط نيابة عن اليهود في بورخا لأنه علم أن العديد من سكان مدينة بورخا، المسلمين والنصارى، كانوا يكرهون الجماعة اليهودية، وحاولوا إلحاق الأذى بهم بشكل جماعي وفردي، ومصادرة ممتلكاتهم وارتكاب المظالم الأخرى ضدهم دون مبرر لأفعالهم.

وعلى المستوى المؤسساتي فقد بدا أن المسلمين مثل النصارى في كثير من الأحيان فهموا أن مصالحهم كانت في تعارض مع مصالح اليهود. تلك المصالح كان يمكن السعي وراءها على المستوى المؤسساتي للجماعة حيث كانت الامتيازات والاحتكارات التابعة لـ "الدولة" معنية بالأمر. وبالمثل، كان الأفراد يجدون أنفسهم يعملون في علاقات تعارض الاجراءات التي نظمتها مؤسسات "الدولة"، على سبيل المثال أثناء اقتراض المال.

ولا يعني هذ أن المسلمين والنصارى كانوا متحدين في كراهية اليهود، بل على العكس من ذلك كانت العلاقة متوترة بين المسلمين والنصارى، ففي بلدية بورخا Borja اشتكى المسلمون من أن النصارى واليهود اهانوا وهاجموا بعنف بعض المسلمين، واصابوهم بجراح بليغة، ومن جانب آخر نجد العديد من الأمثلة التي تدل على وجود تعاون بين المسلمين واليهود خاصة على المستوى الفردي، فالتعاون التجاري مثلا كان مألوفاً بين الطرفين، وكون البعض شراكات تجارية قوية، فعندما استولى الملك على قصر

اليهودي السرقسطي صمويل قولف، وما يحويه من بضائع، طلب صمويل مساعدة صديقه المسلم علي البلنسي لاسترداد بضاعته[1].

ومهما يكن من أمر، فاليهود هم اللذين كانوا دائماً يحاولون استثارة المسلمين، واستفزازهم، فكثير ما كانوا يضايقون المسلمين بتطاولهم على الرسول صلى الله عليه وسلم وإنكار نبوته[2]، فها هو أحد مسلمي أرغون ويدعى محمد الركيلي، وهو من مدينة وشقة خلال القرن الثامن الهجري\ الرابع عشر الميلادي، ويقال أنه كان يهودياً فأسلم ،يشن هجوم عنيف على اليهود سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م، واصفا اياهم بامتهان الكذب والافتراء، وألف في ذلك كتابا أسماه" تأييد الملة في الرد على اليهود"، لأن اليهود كانوا اذا حضروا في المحافل والأوطان يطلقون ألسنتهم بالكذب والبهتان، ويطعنون في النبي، وينكرون شرعه ونبوته، ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى لم ينزل أحد من الأمم شرعاً ولا كتاباً إلا عليهم[3].

وكان اعتناق بعض اليهود الدين الإسلامي سببا آخر في أثارة الطائفة اليهودية ضد المسلمين، فكانت الطائفة اليهودية تطالب بتوقيع عقوبة الاعدام في حق اي يهودي يعتنق الاسلام ، وفي وثيقة تم اصدارها لسنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠م، تتعلق باعتناق ثلاثة من اليهود الإسلام من منطقة نائية في سرقسطة، حيث تم القبض عليهم ، وتحويلهم إلى سرقسطة ومحاكمتهم ثم معاقبتهم. ولا نعلم نوع العقوبة التي تم توقيعها على هؤلاء الثلاثة ولكن في وثيقة اخرى تعود لسنة٦٨٣هـ/١٢٨٤م، ذكرت أنها حكمت بالموت على يهودي يدعى Maulet بسبب ارتداده عن اليهودية[4].

---

١ Nirenberg,Op. Cit , p.٢٦٥.

٢ القرافي، الأجوبة الفاخرة ، ص٩٩ .

٣ Nirenberg, Muslim- Jewish Relationship, p.٢٥١.

٤ Nirenberg, Op. Cit, p.٢٥٩.

لكن موقفهم يختلف إذا كان الشخص مرتد عن الاسلام إلى اليهودية، فهم يدعمونه، ويرون أنه لا غضاضة في اخراج مسلم عن دينه، ولكنهم لا يتقبلون اطلاقاً أن يهتدي يهودي إلى الإسلام بكامل قناعته، ففي سنة ٧٦٣هـ / ١٣٦١م أوقف الملك بيتر Peterمقاضاة الجماعة اليهودية في برشلونة لتحويلها شخصاً مسلماً يدعى لوبيلو دي سارة محمد ، والذي غير اسمه إلى أبراهام. كان الملك قد رخص سابقاً لتحويل الديانات، إلا أن المعارضة كانت قوية للغاية بحيث اضطرت الجماعة اليهودية إلى تحصيل العفو (بمقابل على ما يُفترض) تفادياً للتقاضي.

ومهما يكن من أمر، فإن تغيير الديانة كان أمرا مسموحاً في مملكة أرغون، حيث رخص الملك بيتر سابقا بجواز تحويل الديانات، ولكن يبدو ان ذلك كان يتم شريطة الحصول على موافقة الملك، وهذا ما نستشفه مما ورد في مذكرات أحد الموظفين الحكوميين في أرغون، فبعد مرور عشرين سنة على حادثة تحول مسلمتين إلى اليهودية ، كتب مأمور بلنسية دون خيخون في دفتر حساباته أنه تلقى غرامة قدرها ١٦٥ سوس من هاتين المرأتين، وهما من أليكانتيAlicante [١]، أحدهما تدعى فوتوه والأخرى أخينا، واللتان غيرتا اسميهما إلى جميلة وصيمفا بعد اعتناقهما اليهودية، والغرامة فرضت على هاتين المرأتين ليس بسبب تغيير الديانة، وإنما بسبب "تحويل الديانة دون

---

١ لقنت (بالإسبانية: Alicante أليكانتي) هي مدينة تقع في شرق إسبانيا، هي عاصمة مقاطعة لقنت التابعة لمنطقة بلنسية. هي أيضاً ميناء تاريخي في البحر المتوسط، عرفت باسم لقنت أو اللقنت أيام الحكم الإسلامي لها، ولقنت مدينة صغيرة عامرة وبها سوق ومسجد جامع ومنبر ويتجهز منها بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر وبها فواكه وبقل كثير وأعناب ولها قصبة منيعة عالية جدا في أعالي جبل يصعد إليه بمشقة وتعب وهي أيضاً مع صغرها تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق وبالقرب من هذه المدينة وبالغرب منها جزيرة تسمى أبلناصة (Isla de Tabarca) وهي على ميل من البر وهى مرسى حسن وهي مكمن لمراكب العدو وهي تقابل طرف الناظور ومن طرف الناظور إلى مدينة لقنت عشرة أميال ومن مدينة لقنت في البر إلى مدينة الش مرحلة خفيفة ومن مدينة لقنت إلى حلوق بالش (Mar Menor) سبعة وخمسون ميلاً. انظر عنها: الحميري، الروض المعطار، ص ٥١١.

ترخيص"، ولم يتم ذكر أي عقوبة أخرى، و تشير الوثيقتان السابقتان إلى أنه في النصف الأخير من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي كان التحول من الإسلام إلى اليهودية قضية متعلقة برسوم الترخيص وليس بالمحاكم الجنائية.

ويرى الكاتب ديفيد David Nirenberg أنه إذا كان الأمر كذلك، فالوقائع قد تكون أكثر عدداً مما يبدو عليه الأمر في وثائق الأرشيف حيث لا يوجد ذكر سوى لهاتين الواقعتين التي سارت الأمور فيهما على نحو خاطئ[1].

والاحتمال الأقوى أن التحول إلى اليهودية كان نادراً، وبسبب ظروف معينة، فما هي الامتيازات التي سيجنيها المرتدون إلى اليهودية، خاصة أن النصارى هم أصحاب الامتيازات وليس اليهود.

كانت العلاقات الجنسية المختلطة من الأسباب الرئيسة التي تؤدي إلى الصدام بين الطرفين، حيث كان المسلمون يستشيطون غضباً، عندما يعلمون بخبر اقامة يهودي علاقة مع مسلمة، والحقيقة أن سبب حدوث مثل هذه العلاقات وجود جواري مسلمات في بيوت اليهود، ففي حين كان القانون النصراني يحرم على النصارى العمل في بيوت اليهود، كانت منازل هؤلاء الاخيرين تمتلئ بالرقيق المسلم ذكوراً وإناثا، وبما أنه يحق لليهودي التمتع بملك يمينهً كالمسلم والنصراني، كان أكثر الملاك اليهود ينخرطون في علاقة مع جواريهم المسلمات، ولم يكن أمام هؤلاء الجواري من سبيل للهرب من ملكية اليهودي، والحفاظ على أعراضهن من الانتهاك سوى اعتناق النصرانية.

والحقيقة أن وضع الارقاء المسلمين أسوا من وضع جميع الأرقاء، إذ كانوا معرضين لمنتهى أعمال القسوة والإيذاء[2]، وكان من ضمن القوانين التي أصدرها خوان الأول في صوريا سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م، أن المسلم الرقيق المملوك لشخص يهودي، لا يعتبر متحرراً إذا ما حمله سيده على التهود، ولكن اليهودي المسؤول عن الجريمة يصبح رقيقاً

---

١. Nirenberg, Muslim- Jewish Relationship, p.p.٢٥٨–٢٥٩

٢ حومد، محنة العرب ، ص ٢١٥.

أيضاً، كما اصدر خوان الثاني سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧ في بريسكا، أمراً يحرم على المسلمين واليهود العيش مع النصارى، أو أن يعيش نصراني بينهم تحت طائلة العقاب البدني، ومصادرة أموالهم. وأمر آخر سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٨م في بلد الوليد يكرر التحريم على النصارى بان يعيشوا مع مسلم أو يهودي تحت طائلة عقوبة الجلد[١].

أما سبب استباحة اليهود للجواري المسلمات، فلأن اليهودية تفرق بين اليهودي والغريب، فاليهودي لا يجوز استرقاقه، ولا يباع بيع العبد، اما الغريب فيجوز استرقاقه بالحرب والشراء، ويعامل بقسوة ، ولا يجوز عتقه ولا تحريره، ولا قبول فداء فيه، ويبقى رقيقاً أبداً، ويرون أن الله جعل غير اليهود أرقاء لليهود، فلا يتحرر من يقع في رقهم ولا يعتق بفداء[٢]، كما يحرّم التلمود على اليهودي ارتكاب الفاحشة مع امرأة قريبه اليهودي فقط، أما الأجانب، فنساؤهم مباحة له "لا تَشتهِ امرأة قريبك، ومن يرتكب الفحشاء مع امرأة قريبه، يستحق الموت". ويشرح التلمود في مكان آخرَ أن بعض الربانيين كانوا ينادون في كل مدينة ينزلون فيها: "مَن مِن النساء تريد أن تكون امرأة لهم لبعض أيام؟". و ويحرّم التلمود أيضاً زواج اليهودي المتزوج بيهودية أخرى، ولكن يبيح له التمتع بالمرأة غير اليهودية؛ لأنه حسب الشريعة لا يأثم. والتلمود لا يرى في امتهان المرأة اليهودية البغاء إثمًا أو جرمًا، طالما حافظت على تقواها كيهودية[٣].

ومهما يكن من أمر، فقد احتوت الوثائق الإسبانية على حالات كثيرة توضح النتائج المترتبة على مثل هذه العلاقة المختلطة، ففي سرقسطة مثلاً أتهم يهودي بتسمم ابنه، بسبب تنافسهما على حب إحدى جواري المسلمات التي يملكها، ويقال أن الابن هدد والده باعتناق النصرانية إذا لم يتوقف عن مضاجعة الجارية.

---

١ حومد، المرجع السابق، ص.ص ٢١٦– ٢١٧.

٢ نفسه، ص ١٧١.

٣ عن هذه المسألة انظر: علي ،فؤاد حسنين ، التوراة عرض وتحليل، دار المستقبل، القاهرة،١٩٥٦؛ التل، عبدالله ، جذور البلاء، المكتب الإسلامي، بيروت ،١٩٧٨؛ الدسوقي، إبراهيم ، خفايا التلمود، دار الكتاب العربي، دمشق ٢٠٠٨.

والحقيقة أن مثل هذه العلاقات أدت إلى حدوث الكثير من المشاكل بين الطائفتين، كما حدث على سبيل المثال سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م، عندما اشترى أحد يهود جيرونا مع بعض اقربائه ويدعى Chresche de Turriمن الملك جيمس الثاني رخصة تسمح له بختان صبي مسلم، وادخاله في اليهودية، وكان هذا الصبي هو نتاج علاقته بجاريته المسلمة، ، ومما يجدر ذكره أحد أجداده ، وهو من جيرونا أيضا ويعرف باسم ابراهام قام قبل أربعين عاماً بخنق طفليه اللذين أنجبهما من مملوكته المسلمة، كما أدى اعتناق جارية مسلمة اليهودية في وشقة Husca إلى حدوث مشكلة قانونية مثيرة للاهتمام، فقد انجبت تلك الجارية من مالكها اليهودي السابق طفلاً، لذلك حاول هذا الاخير اثبات ملكيته لهذا الطفل محتجا بأن العرف السائد في البلد أن الصبي الذي يولد من علاقة مختلطة بين مالك يهودي ومملوكة مسلمة تؤل ملكية الصبي إلى المالك، ويبدو ان الجارية اعتنقت اليهودية حتى تحرر طفلها من الرق، وتمنع تملك اليهودي له[١].

نستنج مما سبق حجم الضيق والبلاء الذي سببته الجماعة اليهودية في أرغون للجماعة الاسلامية هناك فقد حاربت المسلمين دينيا واقتصاديا واجتماعيا، ولا نبالغ إذا قلنا أنها كانت أشد وطأة عليهم من النصارى أنفسهم.

* * *

١. Nirenberg, Muslim- Jewish Relationship, p.٢٥٥

الخاتمة:

نخلص من المباحث السابقة في تقويم العلاقة مع الآخر(اليهود) بأن جانبها العدائي هو الأكثر وضوحاً، وأن الصدامات العدائية طاغية على ما سواها من مظاهر المشاركة والالتقاء الودي، كما أن الجماعة اليهودية حملت فكراً وممارسة متضادة تماماً مع الجماعة الإسلامية، وشهدت أسواق اللحوم، وأروقه محاكم أرغون وشوارعها أهم فصولها.

كانت هذه المواجهات والاشتباكات بين الجماعتين مدفوعة بالرغبة في إثبات الوجود فوق ارض امست ملكاً للإسبان، بعد أن نعمت قروناً بالرخاء والاستقرار في ظل الفاتحين المسلمين.

وكان هذا الدافع احدى المحفزات الرئيسة التي صاغت إطار العلاقة بين اليهود والمسلمين في أرغون، فالرغبة في كسب ود الحكام الجدد، بعد تغير ميزان القوى في الأندلس لصالح النصارى الصليبين، جعلت الجماعة اليهودية تدخل في صراع مستمر مع مسلمي أرغون "**المدجنون**" من أجل اقصاءهم ، والفوز بمركز الصدارة لدى السادة الجدد، وشعارهم لتحقيق هذه الهدف " **الغاية تبرر الوسيلة**"، متناسين الحياة الكريمة التي عاشوها في ظل الحكم الإسلامي قروناً طويلة، فلم تشفع للمسلمين معاملتهم الطيبة وتسامحهم عندما كانوا أسياد الجزيرة الإيبيرية لدى اليهود، الذين لم يرعوا للمسلمين إلا ولا ذمة، وناصبوهم العداء، وحاربوهم حتى في مورد رزقهم، ولا عجب، فهذه هي أخلاق اليهود كما أخبرنا عنها القرآن الكريم، فالخيانة شعارهم والمكر دثارهم.

وكان الأجدر بهم أن يكسبوا ود المسلمين، ويمدوا لهم جسور الود والتعاون ضد الحقد الصليبي، الذي أفضى بهم في النهاية إلى الطرد من الأندلس، بعد أن ارتكب مذابح مروعة لليهود، ودمر معابدهم، واكرههم على التنصر.

وقد كشف البحث عن مظاهر وصور متعددة لهذا الصراع منها العقدي والاقتصادي والاجتماعي، وكان اليهود فيها جميعاً هم الذين يحاولون استثارة المسلمين، واستفزازهم، فكانوا مثلاً يضايقون المسلمين بتطاولهم على الرسول صلى الله عليه وسلم وانكار نبوته، أو يثقلون المدينين المسلمين بالربا الفاحش، وغيرها من الأساليب التي تفضح اخلاقهم، وتعري حقيقتهم .

* * *

الملاحق

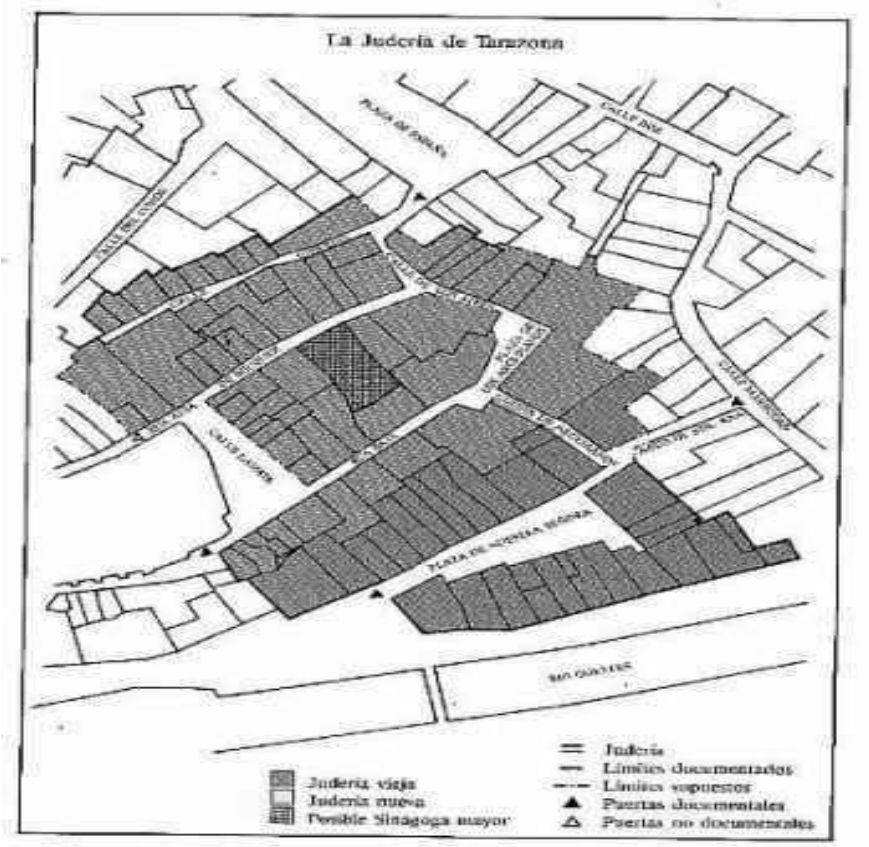

مخطط للحي اليهودي في سرقسطة.

Dolader, Miguel Angel Motis, A guide of the Judería (Jewish quarter) of Tarazona .

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

المصادر العربية:

١- ابن الأبار، محمد بن عبدالله (ت ٦٥٨هـ)، **التكملة لكتاب الصلة**، صححه وعني بنشره عزت العطار، القاهرة، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧٥هـ.

٢- **الحلة السيراء**، تحقيق ، حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر ،ط١، ١٩٦٣م، ١٢٦/٢.

٣- ابن بسام الشنتريني، علي بن بسام (ت ٥٤٢هـ)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق، إحسان عباس، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٣٩٨هـ.

٤- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق، عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٥- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ)، **الرَّوْض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق، إحسان عباس، بيروت – مكتبة لبنان، ط٢ (١٩٨٤).

٦- ابن الخطيب، أبو عبداللَّه محمد بن عبداللَّه (ت ٧٧٦هـ)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، مصر، مكتبة الخانجي، ط١ (١٣٩٥هـ).

٧- ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق، ليفي بروفنشال، باريس، بولس جبتر، ١٩٣٠م.

٨- القرافي، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي، **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة**، تحقيق، مجدي محمد الشهاوي ، بيروت، عالم الكتب.

٩- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ/١٣٥٩م)، **أحكام أهل الذمة**، دراسة وتحقيق: سيد عمران، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م.

١٠- المقري، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق، إحسان عباس، بيروت ، دار صادر ١٣٨٨هـ.

١١- الونشريسي، أحمد بن يحي(٩١٤هـ/١٥٠٨)، **أسنى المتاجر في بيان من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر**، تحقيق، حسين مؤنس، بور سعيد، مكتبة الثقافة، ١٤١٦/١٩٩٦م.

١٢- ياقوت الحموي، شهاب الدين بن أبي عبد الله ياقوت(ت ٨٧٦هـ/١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط ، د.

المصادر الاجنبية:

A CA, C, reg. ٩٠, F. ٩٨ v(١٨ October ١٢٩١)

A CA, C, reg. ١٠٠, F. ٣٥٢١v(٢٤ January ١٢٩٥)

Comte de Circourt, Histoire des Arabes d'Espagne, Paris ١٨٤٦.

Cuenca, The Code of Cuenca:Municipal Law on the Twelfth Century Castilian Frontier, University of Pennsylvania.

المراجع العربية:

- أرسلان، شكيب، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية** ، مصر ، المطبعة الرحمانية ، ط١، ١٩٣٦م.
- بالنثيا، آنجل جنثالث، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة، حسين مؤنس، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٥٥م.
- بشتاوي، عادل سعيد، **الأندلسيون المواركة**، القاهرة، ٢٠٠١م.
- التل، عبدالله ، **جذور البلاء**، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٨.
- الحجي، عبد الرحمن ، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، دمشق – دار القلم، ط٢، ١٤٠٢هـ.

- حومد، أسعد، **محنة العرب في الأندلس**، بيروت، الشركة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٨م.
- الخالدي، خالد يونس، **اليهود تحت حكم المسلمين في الاندلس**، مكتبة جزيرة الورد، ط١، ٢١٢
- الدسوقي، إبراهيم ، **خفايا التلمود**، دار الكتاب العربي، دمشق ٢٠٠٨.
- سالم، عبد العزيز، **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة (١٩٩٨م).
- السحيباني، حمد بن صالح، **الضعف المعنوي عند مسلمي الأندلس**، د. ط. ت.
- علي، فؤاد حسنين ، **التوراة عرض وتحليل**، دار المستقبل، القاهرة ١٩٥٦.
- عنان، محمد، **الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال**، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مؤسسة الخانجي ط،١٣٨١٢هـ.
- ـــــــــ **دولة الإسلام في الأندلس**، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٣٨٣هـ.
- الكتاني، علي منتصر، **الإسلام في الأندلس: تاريخا وحاضرا ومستقبلا**، قطر، وزارة الشؤون الإسلامية، ١٩٨٩ الموسم الثقافي الثاني عشر.
- ـــــــــ **الوجود الاسلامي في الممالك النصرانية في شبه الجزيرة الايبيرية قبل سقوط غرناطة**، د.ط.ت.
- **الموسوعة العربية الميسرة**، دار القلم ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٥ – ٢٠٦٥.
- مؤنس، حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، القاهرة، دار الرشاد، ١٩٩٢م

المراجع والدوريات الاجنبية:

- Asis, Yom Tov, The Golden Age Of Aragonese Jewry: Community And Society In The Crown Of Aragon, ١٢١٣–١٣٢٧, Cambridge University, ١٩٩٩, p.p ٣٩١–٣٩٦.
- A. López de Meneses , Estudios de Edad Media de la Corona de Aragón, V٦ ,١٩٥٦.
- Bowell, Johan, Muslims communities Under The Crown of Aragon.
- Catlos, Brain. A, The victors and Vanquish, Christians, and Muslims OfCatalonial.
- DINS LA NORMATIVA, HISTÒRICA CATALANO-ARAGONESA, Revista de Dret Històric Català, Societat Catalana d'Estudis Jurídics, Universitat de Màlaga, Vol. ٧, ٢٠٠٧, pP. ٢٠٧–٢١٥
- Dolader, Miguel Angel Motis, A guide of the Judería (Jewish quarter) of Tarazona.
- E.Ciscar y R. Garcia Carcel Moriscos I Agermanats, Valencia, ١٩٧٤.
- E. Feldman, in: Papers of the Fourth World Congress of Jewish Studies, V٢, ١٩٦٨.
- HABA, JUAN PIQUERAS, LOS JUDÍOS Y EL VINO EN ESPAÑA SIGLOS XI-XV UNA GEOGRAFÍA HISTÓRICA, Cuad. de Geogr ,٧٥, ٠١٧ – ٠٤١, València, ٢٠٠٤.
- León, Corona de Aragón y Navarra, Madrid, **١٨٤٧**.
- Nirenberg, David, Communities of Violence: Persecution of Minorities in the Middle Ages, Princeton University, ١٩٦٤

- ----------, Muslim- Jewish Relationship in the Fourteen Century Crown of Aragon, California, University of California,٢٠٠٥, p.٢٦٥.
- Rojo ,María, Encarnación Gómez, REGULACIÓ JURÍDICA DELS JOCS D'ATZAR.

* * *

8- Al-Dosoki Ibrahim, Secrets of Talmud. Al-Kitab Al-Arabi Publishing. Damascus 2008

9- Salem Abdul Aziz, About Islamic history and civilization in Andalusia.Alexandria. Shabab Al-Jameea Institution (1998AC)

10- AL-Sahebani, Hamad IbnSaleh. Moral weakness in Muslims of Andalusia.

11-Ali, Fouad Hassanein. The Old Testament, review and analysis. Al-MustaqbalPublishing, Cairo 1956

12-Anan, Mohammed. The Remaining AndalusiaRuinsin Spain and Portugal, Cairo. The Printing House of Translation and Publishing. AL-Khangi Institution. T2, 1381 H.

13- Islamic Statein Andalusia, Cairo. The Printing house of Translation and Publishing, T1 1383 H.

14- AL-Katani, Ali Montaser. Islam in Andalusia: Past, Present and Future. Qatar. Ministry of Islamic Affairs. 1989, The 12th cultural event.

15- Islamic Presence in the Christian kingdoms in the Iberian Peninsula before the Fall of Granada, The Simple Arabic Encyclopedia. Al-Qalam Publishing. Franklin Institute for Press and Publishing. 1965-2065

16- Mones, Hussein. Features of Morocco and Andalusia History. Cairo. AL-Rashad House 1992AC

* * *

9- Ibn Qaym Al-Jozya, Shams Al-Din Abu Abdullah Mohammed IbnAbu bakr(751 H/1359), Ahkam Ahlu Althemma. Studied and editedby Sayed Omran, Cairo. AL-Hadith publishing. 1424 H./2002AC

10- Al Moqri, Ahmed IbnMohammed(1041 H.), Nafhu Alteeb min Ghoson Alandalus Alrateeb. editedby Ehsan Abbas, Beirut, Sader Publishing1388 H.

11-Al-Wanshereshi, Ahmed IbnYehia(914 H./1508), Asna Almotajer fi Bayan man Ghalab Ala Watanehe Alnasara wa lam Yohajer wa ma Yataratabu Alaeh min Aloqobat wa Alzawajer. editedby Hussein Mones, Port Said. AlthaqafaLibrary. 1416/1996.

1- Yaqoot Al-Hamawi, Shehab Al-Din Bin Abu Abdullah Yaqoot(876 H./1228AC), Muajam Albuldan. Reviewed by Abdul Aziz Al-Gendi, Beirut. Altotob Alilmayyah Publishing.

Arabic references:

1- Arslan, Shekeb. Al-Holal Al-Sundoseyyah fi Al-Akhbar wa Alathaar Alandalosyyah. Egypt, AL Rahmaniya Printing Press. T1, 1936AC

2- Palnithia, Angel Ginthaleth, History of Andalusia Culture translated by Hussein Mones, Cairo. Althaqafa Aldenyyah Library 1955AC

3- Beshtawi, Adel Saeed, Alandalosyyoun Almawareka, Cairo. 2001 AC

4- AL-Tal , Abdullah , Jozoor Albalaa. Islamic Office. Beirut 1978

5- Al-Haji, Abdul Rahman, History of Andalusia from the Islamic Conquest until the Fall of Granada. Damascus- Alqalam Publishing, T2, 1402 H.

6- Homed, Asaad. The hard Times of Arabs in Andalusia. Beirut, The Arabian company for studies and publishing. T2 1988AC

7- AL-Khalidi, Khaled Younes. Jews under Islamic rule in Andalusia. Jazeray Al-Ward Library. T1,212

Arabic References

The Holy Quran

Arabicresources:

1- Ibn Al-Abar , Mohammed Abdullah (658 H.).Al-Takmela Li Ketab Al-Selah , reviewed and published by Ezzat Al-Attar, Cairo. The institution of Islamic culture 1375 Hijri

2- _____ Al-Hullat Al-Sayraa, reviewed by Hussein Mones, Cairo. The Arabic company for press and publishing, 1963AC. 126/2

3- Ibn Bassam Al-Shantreini, Ali Bin Bassam (542 H.), Al-Zakhera fi Mahasen Ahlo Al-Jazera. Reviewed by Ehsan Abbas, Libya, The Arabic Book House. 1398 Hijri

4- Ibn Al-Ather, Ezz El Din Abu El Hassan Ali AlGazri (630 H./1232 AC), Al-Kamel fi Al-Tareekh. Reviewed by Abdel Salam Tadmory, Beirut. The Arab book house. 1417 Hijri/1997AC

5-Al-Humairi, Mohammed Bin Abdul Monem(900 Hijri), Al-Rawdh Al-Me'taar fi Khabar Al-Aqtaar. Reviewed by Ehsan Abbas, Beirut. Lebanon Library (1984AC)

6- Ibn Al-Khateeb, Abu Abdullah Mohammed Bin Abdullah (776 Hijri), Al-Ihata fi Akhbar Ghurnata, Egypt. Al-Khangi Library (1395 H)

7-Ibn Azari, AlBayan Al-Mugharab fi Akhbar Al-Andalus Wa Al-Maghreb. Reviewed by Levy Professional, Paris, Paul Jupiter 1930AC

8- Al-Qurafi, Shehab Al-Din Abu Al-Abbas Ahmed IbnIdrees IbnAbdul Rahman Al-Sanhagi, denomination Alajweba Alfakhera ane Al-asela Al-fajera fi Alradde Almellat Alkafera. editedby Magdy Mohammed Al-Shahawi, Beirut, Alam Alkotob.

The Islamic Community and the Jewish Community under the Spanish Rule of Aragon: A Historical Study of the Interrelationships of Majorities

Dr. Hayla Abdurrahman Farraj Al-Sahli
Assistant Professor, Department of History & Civilization, Faculty of Art and Humanities, Princess Nora Bin Abdul Rahman University

Abstract:

ThisResearch sheds light on an important aspect of the relationship with the other which was forgotten by Muslims throughout the centuries when they controlled Andalusia. The absence of this conciseness regarding the way of dealing with the other is serious and
has dangerous consequences, especially regarding the sensitive position of Andalusia as it was surrounded by enemies. By "the other", we are referring to the Jewish community which enjoyed tolerance
and prosperity under Muslim rule and from Muslim citizens.

Yet they never returned the favor and revealed their ugly face when the balance of power shifted in favor of Christians. Muslims and Jews became equal subjects of the Aragon kingdom which treated both as
minority. The Jewish community started to struggle
with the Muslim community " **Mudjers**" in order to seclude Muslims and gain prestigious positions among Aragon kings and Christian citizens. They believed mainly that the ends justified the means. In fact, the struggles between the two sects were varied; they were economic, religious, and social.
They would always revoke the Muslims and cause them trouble. But unfortunately, their cruel efforts went unheeded because they
were expelled from the Iberian Peninsula by the Christians themselves.